

الأسفار  
السورية السبعة

تصميم الغلاف  
عبد العزيز محمد

# الأسفار السورية السبعة

رواية

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٢٢م

الآراء والمواقف الواردة في الكتاب هي آراء المؤلف ومواقفه ولا تعبر  
(بالضرورة) عن آراء الهيئة العامة السورية للكتاب ومواقفها.

هو ذا ناموس هذي الأرض وديديها.

هو ذا قانون العالم الراسخ.

جمعه ودونه من أفواه الأقدمين ذلك الأصغر والأحقر من أن يذكر اسمه  
بين أسماء الآلهة، مخافة أن تسرق جميع الأمم قصة الخليقة وتتحلها لنفسها..

في السماء كان ثمة منذ الأزل الأب ربنا الأعلى.

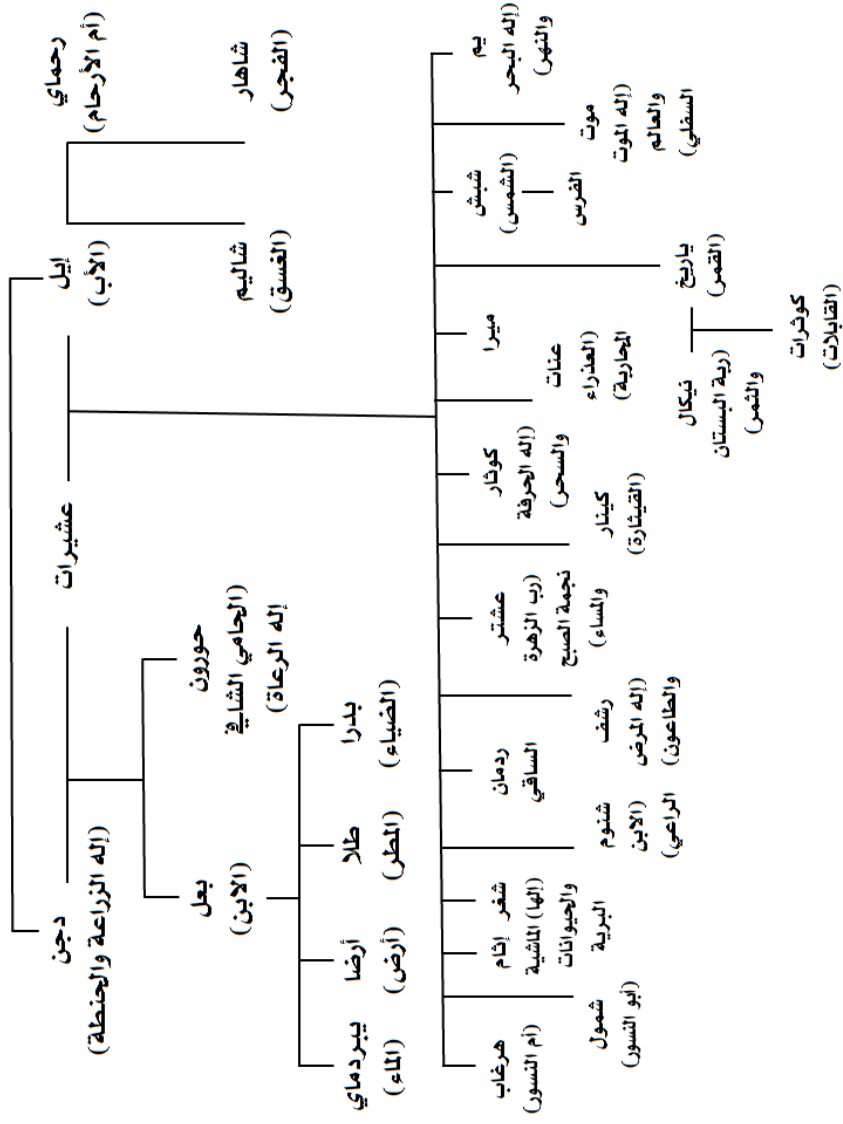
وعلى الأرض الابن الملك والسيد.

وفي العالم توازهم كالملائكة الحارسة الأرباب الآخرون والعناصر  
الكثيرة مجتمعون.

وبيننا مشى الأنبياء والملوك الصالحون ممن أطاعوا أوامر الرب ونقلوا

وصاياها.

## مجمع الآلهة



السيفُ الأول

الأب

---





## إلهنا في السماوات

هناك في كبد السماء حيث لا تصل عينا مخلوق وليس ثمة سوى الظلام والمطر يستوي على عرشه الهائل خالق جميع المخلوقات والعوالم ربنا الأعلى العجوز إيل.

ذلك الذي يرانا ولا نراه ما يزال جالساً وحده فوق عرش السماوات منذ زمنٍ هو أقدم من الوقت ذاته، وقبل أن يوجد في الكون أي شيء آخر إلاه..

وسط وجهه الرزين الجميل استقرت عينان غائرتان لا تكادان تبصران، وزينت ذلك الوجه المتغضن لحيةً رماديةً طويلةً جداً.

فوق رأسه ثمة قلنسوةٌ ذهبيةٌ كالقمع لا ترى نهايتها لفرط طولها، وعلى جسده مئزرٌ طويلٌ يغطي القدمين وينهال على عالمنا كستارة.

نمجد في كل يوم ربنا الأعلى الذي يعيش هناك بعيداً عن حياتنا وأرضنا، ملتفحاً بالغيوم والضباب، ومغطياً وجهه عنا حتى ما عدنا نراه أو نسمع صوته..

هكذا هو إيل دائماً!

بعد أن أبدع وصنع كل شيءٍ، ووهبنا على الأرض سيدنا وحبينا ملك الملوك يقنع بالبعد عنا دون أن يسمع آهاتنا أو يرى بعينه حياتنا البائسة على الأرض.

وفي قلب الصمت يسمع أبونا الممتليء حكمةً صوت عشيرات أم الآلهة آتياً إليه من مكانٍ ما، فيتذكر بغموضٍ كيف بدأ كل شيءٍ:

## البداية

هكذا بدأ كل شيء:

بعد أن خلق أبونا السماء والهواء والأرض طيلة سني شبابه مشى إيل  
ضجراً، ثم مشى ومشى حتى بلغ يوماً شاطئ البحر والمحيط.

وهناك أبصر إيل غير مصدقٍ امرأتين حسناوين تملآن بالماء حوضاً  
كبيراً فيه تغسلان الثياب، ففتح عينيه في دهشة!

رفع أبونا حاجبيه وسأل بفضول:

- ما اسم امرأتي البحر الجالستين القرفصاء أبداً أمام المياه؟

- عشيرات يا أبانا.

- رحماي يا أبانا.

هنا نما عضو «إيل» حتى غطى البحر كله، وكالبحر فاض..

لقد غمر الرب شعورٌ عارمٌ وغريبٌ بالانجذاب نحو المرأتين وفكر  
فيما هما تصعدان وتهبطان على الحوض:

- ما أجملهما من صبيتين.

ثم دعا «إيل» كلاً من عشيرات ورحماي إلى بيت الرب، وابتسم لهما في حنان.

هناك خفض إلى الأرض صولجانه، وقذف سهماً هائلاً نحو السماء  
فاصطاد به طائراً كبيراً.

نتف الرب ريش الطائر، ثم رماه فوق جمرات الفحم المتوهجة..

وعلى هدير الأمواج قبل إيل المرأتين قائلاً في قرارة نفسه:

- ما أعذب هذه الشفاه.

ثم ذهب الرب لينام طالباً من الحسنائين إيقاظه حين ينضج الشواء..

- ولتنادني كل منكما حين يقظتي بالاسم الذي تشاء..

بعد انتظارٍ وهفةٍ وطول تفكيرٍ أيقظت المرأتان في اللحظة ذاتها أبانا في السماوات:

- أبونا.. أبونا.. انهض فقد احمر الطائر المشوي وبات جاهزاً للأكل..

عقد إيل حاجبيه وأجاب:

- تنادينني الحسنوان أبونا أبونا.. فإذا ستصبح كل من المرأتين ابنةً «لإيل»..

غير أن عشيرات وأم الأرحام (رحماي) صاحتا في آنٍ معاً:

- انهض أيها الزوج.. لقد احمر الطائر.. فلنأكل الشواء إذأياً زوجنا الحبيب..

هنا ضحك الرب في السماوات مبتهجاً وقد علم أنه قد نال إعجاب

امراتي البحر.

خاطبته عشيرات المكتنزة الساحرة:

- قم أيها الزوج، والتهم بشهيةٍ الطائر اللذيذ ذا الرائحة الشهية.

وأما «رحماي» ذات الردفين العريضين فقد صاحت في لهفةٍ بدورها:

- نعم أيها الزوج.. بشهية جميع الرجال أقبل علينا..

انحنى «إيل» الرجل، وقبل الشفاه الحلوة كالرمان..

ثم إنه مد ذراعيه فعانق المرأتين..  
ومن خلال القبل تم الخلق..  
ومن خلال العناق اكتمل الحمل..  
وهكذا حملت أمنا الأولى، وكذلك حملت أم الأرحام.  
ثم ولدت كلُّ منهما ابناً «لإيل»..  
حين بلغه النبأ فرح أبونا إذ غدا والداً..  
صاحت العروسان في حنانٍ وهففة:  
- لقد ولد لك اليوم ابنان رحمانان رؤوفان  
أجاب أبونا وربنا الأعلى:

- فكما أنا إلهٌ فسيغدو ابني إلهين، ويكون إسماهما شاهار<sup>(١)</sup> (الفجر)  
وشاليم (الغسق).. سيغدو شاهار وشاليم الإلهان الرقيقان  
(الشفافان كالغلالة) وكما سيكون بكرِّي إلهين سيصبح كذلك كلُّ  
نسلي من الآلهة..

بين الفجر والغسق إذاً ولد عالمنا رقيقاً شفافاً ولكن خاوياً تماماً..  
لقد كان ما بين الفجر والغسق أثيراً فارغاً كالهلام.. وكان على أبينا في  
السموات والذي يجب الكمال أن يخلق جميع الأشياء الأخرى حتى يملأ  
بالتدريج ذلك الفراغ الهائل..

---

(١) شاهار = سَحَرٌ... تقلب السين شينا في اللغات العربية القديمة وفيما تفرع عنها من لهجات.

## النسل المقدس

وقد عاش خالق المخلوقات دوماً وأبداً في العراء.

تحت خيمةٍ عاش مع زوجته وأطفاله الكثر، إذ لم تكن ثمة في العالم  
آنذاك جدرانٌ أو أي شيءٍ آخر.

أبو السنين والممتلئ حكمةً لا يجب القصور، بل يبغض البيوت  
والجدران. ولذا لا نبي له في سورية معبداً قط، ولا نقيم له قدساً إذ تحيا روحه  
معنا في كل مكانٍ وتكمن في جميع الأشياء..

وهكذا نحدق حولنا في العراء يا رباه فنراك بقلوبنا ونشعر بك في كل  
شيءٍ يحيط بنا، وأنت أصل كل شيء..

ومع ذلك لا نرى وجهك أبداً! أنت يا أبانا القريب جداً من نفوسنا  
وقلوبنا بعيداً كذلك عن أبصارنا.

في ذلك العراء الأزلي تتنافس زوجات الرب - كعادة النساء أبداً -  
على كسب رضاه وحبه واهتمامه.

وهكذا تأخذ ربة الخصب عشيرات والأم المجهولة رحامي أم الأرحام  
بإنجاب الأطفال الآلهة له واحداً تلو الآخر.

ثم يتخذ أبونا لنفسه زوجاتٍ أخرياتٍ عديدات..

وهكذا تنمو لأبينا في السماوات قرنا ثور، وتدعوه النسوة من الآن فصاعداً بالثور، فهو أبو الرجال ومصدرُ كلِّ ذكورةٍ، ودون وجوده لا يتشكل شيءٌ في هذا العالم ولا يحدث فعلُ الخلق..

في نهاية صراع الزوجات العديدات الأزلي تنتصر أخيراً عشيرات ويتم اصطفاؤها، وهكذا ترتبع بجانب أبينا على العرش مع أن لأبنائها الآلهة إخوةٌ آلهةٌ من أمهات أخريات.

ويغدو الثور أباً لكثيرٍ من الآلهة الأطفال، ويأخذ في عددهم حتى بلغ عددهم السبعين، ثم السبعة والسبعين ثم الثمانية والثمانين.. وهكذا يستمر في العد إلى أن يتعب ويخطئ في العد ويعيد الكرة..

وتنمو الآلهة الأطفال وتنضج، ومع تكاثر أعدادها ينسى الأب حتى أسماءها، لكنه لا ينسى أبداً أسماء أقواها وأقربها إلى قلبه..

فيذكر دوماً بابتسامةٍ طيبةٍ على الوجه المتغضن الطيب أسماء (يم) و(موت) و(بعل) وشمش والتوأم (عنات) و(ميرا) والتوأم البكر (شاهار) و(شاليم).

وكذلك (رشف) إله المرض والصحة و(يارينخ) إله القمر وعثر (إله نجمة الصباح والمساء) و(ردمان) الساقى و(شغر) و(إثام) إلهي المواشي والحيوانات البرية وكوثار (البناء إله الحرفة) وكينار (رب الموسيقى) و(ش نوم) الراعي وآلهة العالم السفلي (رافايوم).

ولكثرتنا على الأرض ينسانا أبونا ونحن جميعاً أبنائه وفينا أنفاسه وروحه،  
ولكنه خلق لنا آلهةً عديدةً لتملاً علينا حياتنا وتزين لنا عالمنا وتلونه بأشياء  
رائعةٍ كالبحر والمطر والشمس والقمر والموت والحب..  
فالشكر لك يا ذا الوجه المحتجب خلف الغيوم..  
ما أعظمك يا من استويت على العرش ترقب في صمتٍ مخلوقاتك، بينما  
نحن في ظلامنا وهونا عنك ساهون..

## الخلق

ولقد نما لكاتب هذه السطور الكاتب (إيلي ملك) كاتب الملك المعظم (نقباد) كيف واين عاش الإله العليون، وبيذا دعي وهو عديد الأسماء والأوصاف.

ولقد دعونا بعليان (العالي) لأنه عاش فوق قمة جبل شاهق مكسوٍ بالغابات اسمه جبل (ليل) في خيمةٍ مع عائلته إلى جانب البحر الأكبر.

هناك أمسك أبو البشر بيديه منبع المائين: فمن يد أطلق الماء المالح من بحرٍ ومحيط، ومن اليد الأخرى أطلق لنا كل ماءٍ عذب..

وقد ترأس ذو اللحية الرمادية كل يومٍ مجمعاً للأرباب والمستشارين، إذ اجتمع حوله إلى اليمين واليسار أبناؤه وملائكته.. في ذلك المجمع اليومي حكم القاضي «إيل» بين الأرباب وسوى خصوماتهم التي لا تنتهي..

وإذ جلس رب السماوات على عرشه الهائل ارتدى تاجاً كبيراً له قرنا ثور ورداءً واسعاً بأكمام عريضة منها خرج ذراعه الممددان فمنحت يده اليسرى البركة وأما اليمنى فقد تقدمت نحونا على الأرض بالهدايا والعطاء..

وإذا انفض المجمع ينصرف إيل إلى شغله الشاغل: الطين.

يحملُ خالق كل شيءٍ عصا حادة ويروح يشكل في الطين براءةٍ جميع أنواع المخلوقات، ثم ينفخ فيها روحاً..



وهكذا غدا إيلاي كذلك أبو الأدمين<sup>(١)</sup> (البشر).

ثم تكاثر البشر في الأرض، وانتشروا في كل مكانٍ بعد أن أبدع «إيل»  
أي إبداع في صنعهم من الطين.

ثم تصارع الأدميون على الأرض واحتربوا..

وقد حمل والد أبناء إيل أسماءً لا تنتهي فاشتهر بكثرة الأسماء..

فبعد العليين وخالق المخلوقات وأبو الأدميين والثور دعونه بايل  
(الطيب) لأنه كان لطيفاً حليماً نادراً ما يغضب..

وكذلك دعونه بايل (شداد / شداي) لشدة بأسه وجبروته..

ثم دعونه بايل (عولام) العالم بكل شيء والأزلي الخالد الباقي.. لقد  
كان الرب من الحكمة والعلم بحيث يقرأ قلوبنا في كل لحظة، وبات أقرب  
إلينا من ذواتنا.

الله يعيش معنا، وتراقبنا عيناه على الدوام فيعلم كل همسةٍ وزفرة..

لقد قرأ في عقلنا كل فكرة حتى بتنا مع حبناه نخشاه، إذ ليس لنا منه  
مخبأً ولا ملجأً ولا للحظةٍ واحدة.

لذا أضفنا إلى أسمائه (القادر على كل شيء) و(العالم بكل شيء) حتى  
وخز ضميرنا، وأخافتنا قدرته.

---

(١) الآدم يعني وجه الأرض أو باطنها = الطين.. التراب؟! !!

وزارنا أبونا حتى في المنام..

ومع كل هذه الأسماء التي لا تنتهي لإيل لم نعرف له اسماً حقيقياً لأن  
إيل تعني فقط الإله، بل أطلقنا عليه مجرد صفاتٍ دون اسم..

## الإله المريض

وإذبات أبو السنين طاعناً جداً في السن راح يشرب الخمرة في كل حين.  
ثم راح يغيب مراراً عن الوعي من السكر حتى في مجمع الأرباب، لذا  
غضبت منه أمنا عشيرات مراراً وخاصمته بعد أن انتصرت في صراعها على  
باقي الزوجات.

ثم إن أمنا الأولى ربة الخصب عشيرات الغاضبة أبداً أنجبت من غير إيل  
أبناءً آخرين كثر مثل الرب (حورون) وربما الرب (بعل) ابن إله القمح (داجون).  
وبعد أن طالت لحية الرب الرمادية جداً حتى لمست الأرض ضعف  
كذلك بصره وسمعته..

لقد بات أبونا عجوزاً جداً فانسحب متعباً ضجراً بعيداً عن عمله  
اليومي وعن مجمع الأرباب.

لقد انزوى إيل في عرشه بعد أن خلق كل شيء وابتسم راضياً عما صنع..  
غير أن الكارثة وقعت حين دعا الأب أبناءه يوماً إلى وليمة عامرة  
حضرتها الملائكة والأبناء وأرباب العالم السفلي من أرواح الموتى..  
لكنه ظل في المأدبة يشرب أمام المدعوين، ثم يشرب ويشرب دون  
توقف إلى أن خر ساقطاً أمامهم من شدة الثمالة فوق المائدة.

ثم وقع على الأرض.

ولضخامته غدا مستحيلاً رفعه عنها.

هنا بات لزاماً على (البهريليم) عشرات الأرباب الصغار من نسل إيل وعشيرات ممن حضروا المأدبة أن يجرجروا وهم في غاية الحرج والخجل خالقهم وأباهم حاملين إياه إلى مخدعه..

وقد خص إيل بعد تلك الحادثة أحد أبنائه من الأرباب الصغار واسمه (شنوم) بمهمة حمله ورعايته حين يكون ثملاً..

ثم إن عشيرات الماشية فوق المياه انفردت بزوجها المتعب على الدوام وفاتحته بجديّة في الموضوع.

- إن علينا أيها الحكيم يا ذا اللحية البيضاء وضع حل لهذه المسألة إذ لم يعد للبشر والآلهة من يحكمهم بعد أن تعبت وانزويت.

أجابها ذو اللحية البيضاء بعينين غائرتين ممتلئتين شكاً:

- إنما أنت تتأمرين مع أبنائك للإطاحة بمن خلق السماوات ومن علم بواطن الأمور..

- ولكن اختر أنت من أبنائك ملكاً يخلفك، يكون له الحكم ومملكة الأرض بما عليها، وتبقى أنت أيها الأزلي سيد مملكة السماوات العلاء..

## بعل

وقد أحببنا من أبناء السماء الكثير أولئك بعلاً، وجعلناه علينا ملكاً..  
ولأن بعلاً شابهنا ومشى بيننا عشقناه، ولاسمه وحده دون إخوته  
غنينا واحتفلنا.

كانت قلوب البشر قد أنت وتألمت لبعديل عنهم، وتاقت أرواحهم لسيد  
يحكمهم ويدبر شؤونهم.. وكذلك رغب الآلهة بملكٍ عليهم يقضي بينهم..  
ولقد رأت يوماً عيونُ الأقدمين بعلاً سيدنا المختار إذ مشت قدماه  
بينهم وشابه وجهه وجوه البشر..

كانت للبعل حيةٌ هائلةٌ مخيفة، وقد شابه رجلاً قوي البنيان فارع القامة  
بكتفين عريضين وهامةٍ تبلغ الغيوم..

مشى البطل حاملاً رحماً، وارتدى مئزراً قصيراً عكس رداء أبيه الطويل  
عريض الأكمام..

ولقد أطلق عليه والداه حين كان طفلاً اسم (حدد)، لكننا لشدة  
تبجيلنا له خشينا ذكر اسمه ودعونا فقط بالسيد أو (البعل).

وقد غدا بعلنا رباً للمطر والعاصفة.. رباً للسماوات والغيوم. فهو إذاً  
الحياة نفسها ونظامها، وبه تدوم الخضرة وينمو النبات.

وهكذا ركب الحبيب الغيوم مرتدياً على الرأس قمعاً هائلاً، وجلجل بصوته العملاق فسمعنا صوت الرعد المخيف، ومن صولجانه أطلق البرق.. ثم راقب هطول المطر بوجهه الجميل الناظر إلى جميع الاتجاهات في آنٍ واحد.. كان السيد مبهرأً ومثيراً لإعجاب البشر والآلهة حقاً، حتى أثار غيرة أبينا ذاته في السماوات..

وهكذا اشتكى إيل يوماً لقرينته بمرارة:

- ابنك بعل هذا يسعى لأن يحل محلي ويستولي على عرشي..

- لكنك من انزوى بعيداً تاركاً عرشه فارغاً!

- لئن كان حدد بارعاً في إطلاق العواصف والإتيان بالمطر فإنني وحدي القادر على الخلق والعالم بكل شيء..

- غيرتك هذه يا زوجي هي التي ترغم الناس على ذكر اسم أخيك (داجون) كأبٍ محتملٍ لبعل..

رأى إيل الناس يغنون لبعل في المعابد بحبٍ حارٍ وشوقٍ لم يألفه.

ثم ألفوا لتمجيده الأشعار والترنيمات:

- أنجدنا يا راكب الغيوم يا راكب عرفه بالمطر والخصب، ولتكن ملكاً علينا في الأرض والسماوات..

وهكذا نفدت بصيرة الأب إلى صدور الناس، وفهم ما جال برؤوسهم

وهو قارئ القلوب والعالم بكل شيء فغضب وحنق أيها حنق..

سارع الكهنة في المعابد يهدؤون النفوس لتجنب الصراع المدمر بين  
الأب والابن ورددوا:

- ولكن أي فرق بين الأب والابن؟..

- أوليس أحدهما من صلب الآخر؟..

- أليس للرب وجهان، أحدهما بعيدٌ محتجبٌ غامضٌ والآخر قريبٌ  
وأليفٌ؟.. إن السيد (بعل) هو ذلك الوجه الحبيب..

ثم ما فتئت اللات عشيرات تلح على زوجها في الطلب، وتدعوه  
مراراً بأبي (شنوم) لتذكره بحاله و حاجته إلى المساعدة حتى أجابها أخيراً إلى  
طلبها على مضض:

- لا بأس.. غداً ندعو جميع أبنائنا إلى مأدبةٍ كبرى، ننصب فيها عليهم  
ملكاً يقضي بينهم، وييده تكون مقاليد الأرض وأقدار الناس..

## وليمة الأرباب

وإذ اجتمع عشرات الأرباب لحضور المأدبة العظيمة ماجت قلوبهم  
ترقباً وتوتراً، وارتجت السماوات مهابةً وهولاً من عظمة المجتمعين.  
وعلى الأرض ارتعد البشر وخافوا دون أن يدركوا لذلك سبباً..  
ابتسم (أبو السنين) الجالس على عرشه بسرورٍ مرحباً بالحشد المؤلف  
من عشرات المدعوين والذين لم تكد عيناه الضعيفتان تميز وجوههم.  
لكن عينيه لم تخطئاً بعلاً هائل البنيان ذا الخطا الواسعة والثابتة المحبوب  
من الجميع والذي حياه كل الحضور ونهضوا لحضوره تقديراً..  
بجانب بعل مشت أختاه (عنات الحبيبة) و(شمش) الساطعة المنيرة،  
وكذلك أخوه وأخلص حلفائه (كوثار) الساحر..  
همس له عليان (الأعلى) مبتسماً بغموضٍ بعبارةٍ لم يسمعها أحدٌ غيره:  
- اجلس هاهنا أمامي يا ابن (داجون)..  
قبالة أخيه يم إله البحر جلس مطيعاً السيد والذي لم يكن يكره شيئاً قط  
أكثر من كرهه للأفاعي التي تنسل هاربةً في الجحور كلما هطل مطره وساد في  
الكون النظام..

ولذلك ارتعد بعل مشمئزاً حين أبصر أخاه يم جالساً قبالته، وعلى ذراعه  
العريضة التف متلويماً (الأفعوان) الثخين المحرشف ذو الرؤوس السبعة..



كان (يم / إيهو) إله البحر وقاضي النهر الابن المفضل لوأديه.. وهو شديد القوة والهيجان حتى خشى الجميع بطشه، فهو المائي شديد القوة والاضطرام غاضبٌ أبداً ولا يمكن ترويضه..

ويم دائم الحركة والتمطي كحركة الأفعى التي يحمل إذ يحيط نفسه على الدوام بمجموعةٍ من الوحوش البحرية على رأسها (لوتان/ليفياتان) الأفعوان المحرشف..

وهو يرسل مراراً ودون سابق إنذار إلى الشواطئ الأعاصير والزوابع والرياح حتى خشيه أهل البحار وصلوا له مبتهلين أن يرحم سفنهم.. راقب الحضور إيل محمر الوجه المتسم في غموضٍ وخبث وقد تساءلوا إن كان اليوم ثملاً كعادته..

وبعد فراغهم من الوليمة رفع (الأعلى) إصبعة في الفضاء فجأةً. هنا توقف المدعوون عن الكلام جميعاً وحبسوا أنفاسهم فساد في الفضاء صمتٌ ثقيلٌ..

ثم ردد إيل بصوته العميق الغامض الأمر:

- أهلاً بكم يا أبنائي على مأدبة أبيكم السماوي..

أما وقد علمتم جميعاً لأي سببٍ اجتمعتم اليوم لن أطيل عليكم الساعة كلماتي وأنطق على الفور بحكمي..

يكون من اليوم سيداً عليكم وعلى العالم الذي صنعتها يداي هاتان ابني الشديد الجبار (يم) سيد المياه، والذي من الآن فصاعداً تطيعون ولسلطانه الأبدي تنحنون..

## رياح الخريف

هنا تعالت في البلاط الشهقات وصيحات الاستغراب والاستنكار.  
كان الجميع قد تنبؤوا - بل وتمنوا - أن يغدو بعل السيد ملكاً على  
الآلهة وسيداً على الأرض..  
وحدها عشيرات أمهم لم تكتم فرحتها ورضاهما، بل التمعت عيناها  
بالفخر العارم بأحب أبنائها الجبار المهاب يم وبالأمل في القادم من الأيام..  
هنا نهض بعل الجبار يرتعد مذهولاً فاغراً فاه، ثم انسحب من المكان  
غاضباً دون كلمة واحدة.  
ثم تبعه أخوه المحب (كوثار) الماهر مبدياً دعمه..  
وأما شمش فقد لحقت بهما قلقةً مذعورة..  
آنئذٍ انطلق في الفضاء صوت عنات ربة الحرب قوياً كالرعد ثاقباً كالبرق  
وهدرت بجسارتها المعهودة في وجه أبيها دون مهابة:  
- وكيف ذلك أيها الممتلىء حكمة؟! هل جافتك اليوم حكمتك أو  
أنها لسعة الغيرة قد أعمتك؟..  
تعالت الصيحات في البلاط محاولةً إسكات الربة الغاضبة والتي  
لا تخاف في الحق شيئاً:

- لقد علم الحاضرون هاهنا كيف صنع أخونا بعل عرشه على الأرض  
بيديه القويتين، وكيف جعل لنفسه مملكةً بشجاعته وكرم يديه حتى  
آثره الناس جميعاً..

- لقد تجاوزت كل الحدود أيتها المحاربة..

كذلك أجابها خالق السماوات والأرض، غير أنها أكملت حديثها غير  
عابئة..

- ألم تبصر كيف أقام له البشر الاحتفالات والولائم في كل مكان؟  
وكيف سموا باسمه المدن والملوك وفلذات الأكباد؟..

كانت عنات الغاضبة أبداً موشكةً على الانسحاب حين سمعت يم  
يقهقه بصوتٍ هادرٍ كحفيف موج البحر..

وأما العشرات من الأرباب الآخرين فقد صمتوا وأحنوا الرؤوس  
مخافة إغضاب الأب في السماء وهو الذي خلقهم وخلق لكلٍ منهم مملكته..

عند البوابة صاحت عنات وعيناها تنفثان شرراً:

- لا يكون هذا الأمر أبداً يا أبتِ، فكما أنت في السماء الأب والرب  
الأعلى ثمة على الأرض الابنُ والسيدُ الملك..

ثم غادرت البلاط دون رجعة بينما تابع يم /يهو المنتصر إطلاق  
ضحكته العريضة الكريهة..

كان الفيضان الآن يتهدد الحقول بالغرق، إذ دخل العالم في حكم إله  
الفوضى والمياه..

لقد حل على الأرض فصل الخريف..

هاهي الرياح والرعود تهز الأغصان وتُسقط من عليها الأوراق الصفراء..

إنه إذاً موسم المفاجآت والفيضان.. موسم الزخات غير المتوقعة  
والسيول التي لا يمكن إيقافها..

وقد علم جميع من حضروا المأدبة الكبرى أنه العصيان ولا شك قادم،  
وأن المعركة العظمى آتية لا محالة..

## العصيان

كان (العالمُ بكل شيء والمدرك للخفايا) قد تنسم في الجور ياح العصيان..  
جلجل ذات يومٍ في الفضاء صوتُ أبو السنين الصارم مخاطباً ابنه:  
- امضِ مسرعاً أيها الماهر (كوثار)، وابنِ علي عجلٍ قصرًا منيفاً  
لأخيك يم.. وليرتفع ذلك القصر إلى ما فوق السحاب حتى يحكم  
منه الملك الجديد العالم بكل ما فيه.  
بعد طول إحجام ذهب (كوثار) مرغماً لتلبية أمر أبيه، ورفع القصر  
حتى طاول السحاب، غير أن الملك الجديد والطاغية رفض بناء القصر على  
التلال قائلاً:  
- إنما يكون قصري في الهاوية، وفي الأعماق أعيش في قصري الجديد  
كما عشتُ دائماً..  
وهكذا فعل كوثار مطيعاً الأمر على مضض..  
وكبقية الإخوة الغاضبين المملوئين سخطاً يتأوه الإله الشاب عثر /  
عثر رب نجمة الصباح والمساء في أسى..  
وحين يمتلئ نقمةً يحمل بيده شعلةً استعارها من شبش معتزماً المضي  
إلى قصر أخيه الأكبر يم لمواجهته.

- ما من أحدٍ يرغب في سيد الأفاعي والأمواج سيداً عليه وملكاً.  
لكن المضيئة والخيرة شبش توقفه على الطريق، إذ تخشى عليه من نقمة  
أبيه وبطش أخيه:

- لقد أعد أبوك الثور المائدة لأخيك وانتهى الأمر، ولئن أعلنت نفسك  
ملكاً كسر أبوك صولجان حكمك وسحب منك معونته وبركاته.  
هنا بكى عشرت بمرارةٍ مناجياً:

- لقد وقف أبي الثور على الدوام ضدي.. حتى أنني وخلافاً لبقية الآلهة لا  
أملك قصراً ولا بلاطاً.. وحدي إذا سأعبر يوماً حلق (موت) وعند  
موتي سيغسل يم بأمواجه جسدي.. أنا إلهٌ كالآخرين إذاً أم لا؟..

ربتت شبش الرفيقة الدافئة على رأس أخيها الصغير قائلة في حنان:  
- ليس لك يا أخي زوجةٌ بعد ولا قرينةٌ كبقية الآلهة.. كيف ستحكم  
إذاً دون نسلٍ ولا وريثٍ؟..

هنا استدار عشرت الطموح على عقبيه عائداً، وقال في إصرارٍ وهو يضرب  
الأرض بقدمه:

- أقسم يا أختاه على أن أغدو يوماً ملكاً على جميع الآلهة والأرض..  
ثم جمع الأب أبناءه على مأدبةٍ أخرى كي يجمع عصيانهم ويطفئ فيهم  
نار السخط..

راح الحكيم في بلاطه يسقي أبناءه الآلهة الحليب الرائب من الأباريق،  
وسأل أمام الجميع عشيرات:

- فلتطلقني يا إيلات على حاكم الأرض الجديد تسميةً جديدةً تليق  
بكرسيه فيكون له كالآخرين لقب..

- لا يكون الاسم الجديد إلا من اختيارك يا زوجي، فأنت الذي  
وضعتَه على العرش..

هنا فكر الحكيم لحظةً ثم قال:

- نسميه إذاً من الآن فصاعداً (عزيز إيل).

هنا يضحك يم /يهوه في نشوةٍ عارمة، ويشكر أباه الذي كرمه بالاسم  
الجديد.. ثم يضيف عاقداً جبينه:

- وماذا أفعل يا أبتِ بالشديد بعل، والذي ما فتى يسبني ويتمرد على  
حكمي؟..

ارتفع صوت إيل الحكيم مخاطباً ابنه المفضل:

- فلتهب لكرامتك يا يم.. ولينزاح بعل عن عرشه المزعوم..  
بساعديك ورضاً والديك انبذه عن كرسي حكمه، وإلى الأرض بين  
البشر إرم به ليعيش كواحدٍ منهم.. فهكذا تكون عاقبة العصيان..

## يم / يهوه

وهكذا مضى الأمير يم مسروراً بالحكم السماوي..  
مشى بخطاه الواسعة التي توازي كلُّ منها ألف حقلٍ إلى قصره القابع  
في الهاوية والأعماق..  
إليه انسحب هابطاً كما يتسرب الماء عبر الثغور..  
وقد حكم يم إخوته والعالم بقبضةٍ من حديد لا ترحم، وأرهقهم  
ببطشه ونوبات جنونه..

وإذ تدخل عشرات قصر الأعماق مسترضيةً إياه طالبةً منه أن يسامح  
أخاه، يرفض رجاءها دون تفكير.. وهكذا غادرت أمه باكيةً ومتسائلةً في  
سرها إن كان اختياره ملكاً هو القرار الصائب حقاً.

ذات يومٍ راح الإله الأزرق يشرب الخمر محتفلاً بتاجه المذهب ومحاطاً  
بوحوشه البحرية وقد علم في قرارة نفسه أن المعركة مع أخيه قادمةٌ لا محالة..

ثم زعق يم في رسوليهِ أن لا يجلسا أبداً.

- سافرا حالاً إلى مجمع الأرباب، وعند قدمي العجوز إيل لا تسجدا...  
وأبلغا الأرباب أمام الثور والدي رسالة سيدكما رب النهر والبحر:



(أن يسلموا بعلأ إلي، واطلبوا ذهبه كله ليصبح ملكاً لي وبه أزين قصري).  
في بلاط السماوات العلاء فوق جبل ليل انحنت الآلهة جميعاً لرسل رب  
البحار والمحيطات..

- (فلتخلوا يا إخوتي عن حماية الأمير الثائر ابن داجون، ولتأمروه  
بإرسال الهدايا والذهب، وليسلم نفسه وجميع أتباعه لخدمتي).

ابتسم أبو السنين في سره مبتهجاً ثم قال:

- غداً أرسل بعلأ أسيراً إلى قصر الأعماق محملاً بهدايا الذهب  
والفضة.. غداً يا عزيز إيل في قصر فضتي يغدو بعلأ أسيراً لك..

يتابع الرسل قولهم بجسارة:

- وكما أخلف أبي في حكمه تغدو قرينته قرينتي وتسكن معي دوماً على  
شواطئ البحار ويصبح اسمها من الآن فصاعداً (سيدة المياه)..

تابع الإخوة الخائفون انحناءهم للرسل وهم يرتعدون..

إلا بعل وحده رفض الانحناء والتسليم كإخوته الخائفين وصرخ  
غاضباً في وجوههم ومؤنباً:

- ألا ما أجبنيكم يا إخوتي! أما رأيتم وقاحة الرسل؟ لم أحنيتهم لهم  
الهامات؟ من بين ركبكم ارفعوا رؤوسكم إلى أعلى..

ثم حمل حدد البعل بيسراه سيفاً، وييمينه خنجراً ليقتل بهما الرسل  
لكن عنات أمسكت بذراعيه قبل أن يخرق حد السيف أعناق الرسل..

هنا تصيح عنات ذات العينين الحمرأوين بأخيها الغاضب:

- إياك أن تفعل يا حبيبي، ولا ترتكب مثل هذا الخطأ الشنيع.. ما الرسل إلا ناقلو الكلمات، وها هي أختك عنات ربة الحرب تحرّم أمام الجميع من الآن فصاعداً على الآلهة والبشر قتل الرسل في الحرب مهما كانت كلماتهم..

هنا تراجع بعل مرتبكاً.. ثم إنه صاح غاضباً:

- نعم.. لك هذا يا عنات..

ثم أكمل:

- ولكن لا ينحني سيد الأرض أبداً للفوضى والفيضان.

إنها أنا سيد الحياة والنظام.. ولا أترك أرضي وشعبي أبداً تحت رحمة

الطاغية..

# السيفُ الثاني

## الابن

---



## البر والبحر

ذات خريفٍ متقلبٍ رياحه عنيدة اندلعت بين الشقيقين المعركة  
الكبرى خلف الغيوم وفي أعالي البحار، فاهتزت لها السماوات وارتعدت من  
هولها الأرض.

تساءل البشر الغافلون عما عساه يجري في الغيب، إذ ثارت عواصف  
يم غاضبةً وحطمت السفن مراراً فمات كثيرٌ من البحارة غرقاً في الأعماق.  
وفي الوقت نفسه انهمرت على الأرض صواعق بعل المفاجئة وعواصفه  
الماطرة وبرقه ورعده والتي رافقت على الدوام غضب يم..

استنجد بعل بأخته عنات قائلاً وقد أوشك على خسارة المعركة:

- ماذا جرى لقواي يا أختاه وقد خارت كلها؟ ما أراني اليوم إلا  
مهزوماً.. يم هذا هو غربال الدمار ورثنا موت.

حول يهوه راحت تدور مخلوقات البحر المدمرة جميعاً تمد له يداً في  
هذه الحرب..

وهكذا ينهار بعل منهكاً خائراً أمام عرش يم الرهيب..

قبضت عنات بذراع أخيها على الأرض ثم همست له في يأس:

- ليس بوسعك أيها السيد هزيمة يهو بقوة ذراعك وحدها، فأخوك  
الهائج كالثور شديد البأس وأقوى منك بكثير.. ويلٌ لنا..

هنا يتدخل في اللحظة الأخيرة كوثر الذكي إله الصنعة الماهر والمخلص  
لأخيه أيها إخلاص..

يظهر كوثر حاملاً بيديه سلاحين معدنيين كمضربين ثخينين هائلين..  
يرفع لبعل السلاح الأول قائلاً:

- أقول يا راكب الغيوم.. في الحرب ينبغي استعمال العقل وموارد الطبيعة  
لا القوة وحدها.. بهذه العصا الثخينة اضرب خصمك واسحق  
أعداءك.. ولتأخذ مملكتك المستحقة إلى أبد الأبدين..

يمسك السيد بيديه السلاح في حيرة:

- اسم هذه العصا الأولى (يغروش).. فلتطرد يا يغروش يم من  
عرشه وكرسي حكمه، ولترقص رقصتك منطلقاً كالنسر من أصابع  
السيد ضارباً كتفي (يم)..

وسط زعيق الآلهة وثوراة الغبار التي أعمت العيون يضرب بعلى أخاه  
بيغروش ما بين الكتفين فلا يكاد يم متين البنيان يشعر بها..

لكن إله الكثرة يعاجل بعلاً بالسلاح الثاني واسمه (أيامور)..

- فلتضربي يا عصا (أيامور) جمجمة يم على تاج رأسه بين العينين،  
وليخر من وقع الضربة ساقطاً على الأرض..

بين عيني يم وموجاته التي لا تهدأ تضرب العصا الطائرة، فترتعش مفاصله ويهتز نخاعه، ثم ليقع من وطأتها ساقطاً على الأرض ومصدراً زعيقاً مرعباً..

لم يشاهد أحد أبداً قبل اليوم إلهاً يموت هكذا كما مات يم..

ذلك المشهد المريع والمؤلم في آنٍ واحد كان حدثاً جليلاً غير مسبوق.. ليس فقط بسبب صوت السقوط المدوي للجرم الهائل على الأرض، وليس فقط لأنها المرة الأولى في التاريخ التي يقتل فيها أخ أخاه، بل لأن في طيات الحدث تغير مصير الكون برمته..

اليوم ينتصر النظام الأزلي الراسخ في الحياة وتخسر الفوضى وقوى الدمار، وتصبح الأرض مكاناً أفضل للعيش بوجود سيد الحياة..  
وأما الأفعى المحرشفة العملاقة لوتان نصيرة يم فتنسل هاربةً إلى الأبد من سيد الحياة إلى شقوق الأرض، وتبقى مختبئةً هناك ما دام بعل حياً..

## نهاية الفوضى

وأما البشر المدعورون وهم يشاهدون هيجان الطبيعة فقد رأوا بأمر  
أعينهم مشهداً لم ينسوه أبداً، ولكن لم يفهموا تماماً معناه..

لقد أبصروا سلاحى كوثر وهداياه لبعل تنهمر فوق صفحة البحر  
الأسود الهائج..

رأوا أولاً ضوءاً عظيماً كالنسر في السماء يربع المخلوقات ولكن  
لا يؤذي اسمه البرق ثم يتبعه صوتٌ هائلٌ مدمرٌ هو الرعد يهطل بغزارةٍ في  
أعالي البحار..

هنا ترقص ربة الحرب عنات رقصتها، وتذبح بسيفها مخلوقات يم  
ووحوشه البحرية.

ثم تشير بإصبعها الحمراء لجثة يم على الأرض قائلةً:

- اقطع يا حبيبي جثة يم واسحقه سحقاً، وإلا نهض ثانية يوماً لك نداءً.

كذلك فعل بعل حدّد بجثة أخيه فسحبها وقطعها قطعاً صغيرةً جداً،  
حتى تلتطخت بلونها الأزرق قبة السماء فغدت إلى الأبد زرقاء..

تنهد الأب في السماوات بعمقٍ وهو يشاهد ابنه المفضل يخسر ملامحه  
وهيئته محاولاً فهم ما جرى لتوه..



هنا تنفس الأرباب السبعة والسبعون بارتياح لانزياح قبضة الطغيان  
عن أعناقهم..

ثم أمرت عشيرات ابنها:

- لقد علمت يا بعل أن الآلهة لا تموت، فما تظن نفسك فاعلاً؟ ها قد  
غدا أخوك سائلاً عديم الملامح.. فلتنثر يا سيد الأرض أخاك حراً  
طليقاً.. أطلقه إلى الطبيعة..

كذلك يفعل بعل مطيعاً الأم الأولى..

وهكذا ينسحب يم مستسلماً نحو الثغور ليملاً الأعماق والحفر، وليغدو  
من ذلك الوقت رباً للبحار وحسب لا سيداً للعالم والأرض والناس..

بينما يغدو أخوه المنتصر سيداً أزلياً للطبيعة والبشر..

ويلاحظ الناس انهمار قطرات المطر من السماء، وريحاً خفيفةً باردةً  
معلنةً انتهاء الجفاف ودخول الكون إلى فصلٍ جديد..

## مملكة السماء

- ارفعوا رؤوسكم يا إخوتي بفخرٍ واعتدادٍ فقد تحررتم.. لقد بات لكم على الأرض ملكٌ هو ابن السماوات وخليفة الأب في هذا العالم.. ملكٌ رحيمٌ يحبكم وتحبون.. له تغنون وتقيمون الأعياد والولائم..

فوق قمة جبل صفون<sup>(١)</sup> الأقرع أقيمت الاحتفالات الكبرى بانتصار سيد الحياة.. اجتمع الإخوة السبعون ووضعوا على رأس بعل تاجاً مذهباً ليغدو من ذلك اليوم ملكاً عليهم.

وفي الاحتفالات خدم الإله الصغير الساقى (ردمان) إخوته من الآلهة الجالسين في حضرة سيد الأرض..

كان السيد قد أعد لهم المائدة بنفسه ثم وقف بينهم يقطع اللحم، وأطعم بيديه الآلهة والناس في المعابد.

«بنفسه ملاً الكؤوس للحاضرين، وللرجال الأشداء ملاً براميل وخلط عشرة آلاف إبريقٍ من خمرة الخريف.. ومن الفرح والنشوة غنى له الناس الأناشيد وارتجلوا من القلب الترنيمات..»

---

(١) جبل صفون أو جبل الصفاء هكذا عرف هذا الجبل في عهد مملكة أوغاريت وهو الجبل المعروف الآن باسم الجبل الأقرع لخلو قمته من الأشجار.. وقد عرف في العهد الكلاسيكي باسم جبل كاسيوس.

في الاحتفالات شاركت ابنتا بعل الكبيران (طلا) ابنة الندى والرذاذ  
و(بدرا) ابنة البرق..

كانت أمام السيد الآن مهمةً جليّة، وهي أن يملك يمينه الأرض وما عليها،  
وهكذا مشى على البسيطة يقهر المدن واحدةً تلو الأخرى حتى غدا بالتدريج  
عالمنا كله عابداً لبعل معترفاً بسيادته.

ثم تعين على الملك الجبار أن يخوض المعركة تلو الأخرى وسط الصحراء  
القاحلة ضد الوحوش المفترسة التي لا تكل..

وهكذا انقض عليه يوماً سرب جراد الصحراء المرعب وكاد ينهشه نهشاً..

صاح به ملك الجراد:

- هذه لك يا قاتل الأخ..

لكن بعل قاتل الوحش تلو الوحش وكانت له الغلبة كل مرة حتى  
دانته له مملكة الأرض بأكملها..

ثم دخل عليه يوماً وفد (الرييوم) الصالحون، وهم الظلال من آلهة العالم  
السفلي وأرواح الأجداد ومنهم روح الملك دانييل الذي رفع إلى مرتبة القدسية..

جادله الرييون الصالحون ونصحوه، ثم سألوه بلا هوادة:

- وما أنت فاعلٌ حتى تكفر عن كل ذنوبك؟.. إن على ملك الآلهة أن

يكون نظيفاً نقي القلب، وعليه أن يقدم حين ينبغي الكفارة.

و فقط حين أرضاهم السيد دانته له العوالم جميعها..

وقد قبل السيد دعوة ملكنا نقيما ملك أوغريت وفي قصره أكل وشرب  
الخمير، ثم خاطب الرب شعبه:

- في مدينتكم تبنون لي معبداً تصعد أدراجه عبر برج يرى منه جبل  
صفون.. وتبنون معبداً آخر لوالدي داجون رب القمح الذي  
علمكم الزراعة وأهداكم الخبز.. ثم لتناقشوا قصة انتصاري على  
ألواح الطين تحفظوها في دارٍ تسموها مكتبةً بجانب المعبدين يشرف  
عليها الكهنة..

وتقيمون في العام يوماً للتطهر الجماعي يخرج فيه كل أبناء المدينة من  
رجلٍ وامرأةٍ وطفل إلى المعبد للتكفير عن الذنوب وتقديم الأعيان  
وترديد الترانيم والصوات، ولتلهج ألسنتكم باسم السيد إلى أبد الأبد.

## اللقاء المقدس

معه كانت في كل خطوةٍ أخته وحبيبته عنات..  
عاونت ربة الحرب سيد الحياة في جميع غزواته.  
وضربت الرؤوسَ حتى تدحرجت أمامها كالكرات، وملاأت جثُ  
العصاة الأرضَ فغطتها كالجراد الميت..  
كذلك خاضت عنات حتى ركبتها في الدماء، وانتشى كبدها فرحاً.  
ومن جلود القتلى صنعت الكراسي والمناضد، وبراحتها غرفت من  
دمائهم وصنعت مسحوقاً لزوجاً به حمرت شفيتها وخدوها.  
وشوقاً لحيبها بيدها حملت قيثارة.  
وبالمرجان غطت الجميلة صدرها.  
وراحت تغني أغاني الحب للعظيم بعل، وتعبر عن شوقها لابنتيه طلاء  
(المطر) وبدرا (الضباب والبرق)..  
ثم غنت لابنته الثالثة (أرشا) - الأرض - والتي لا ترافق كأختها  
أباها طيلة الوقت في غيابه وحضوره.  
ويشتاق السيد لحيبته عنات أيها شوق.

ويرسل لها رسوليهِ جُبِن (خمر) وأوغار (حقل - سيد مدينة أوغاريت)  
معلنين الإكبار والاحترام:

- هلمي إلي أيتها العذراء، هكذا يقول لك السيد..

أسرعي ولا تترددي، ولتتوقفي اليوم عن الحرب..

فلئن أسرعت قدماكِ نحوي أخبرتكِ فوق الجبال عن قصة الغابات  
وهمسة الحجر، وبلغه البرق والمطر علمتكِ تنهد السماء للأرض.. لغةً لن  
يفهمها إلانا فوق صخرة مملكتي وجبل انتصاري، حيث صنعنا فوق الجبل  
المقدس حبنا المقدس.

وهكذا عبدناك يا سيدي فوق مسكنك في الجبال..

على التلال نبذنا الحروب وأصغينا لهمس الريح كي نفهم..

ومثلكِ أيتها العذراء المشتاقة أعدت النسوة أنفسهن للحب نابذاتِ  
الحرب، ومضرجاتٍ خدودهن بدماء المقاتلين وقد انتشت منهن الأكباد..

قبل لقاءهما المقدس نذرت عنات للأرض أرغفة الخبز، وصبت عليها  
العسل من إناء، وزرعت في الأرض الأزهار.

له اغتسلت الربة بندى السماء وزیوت الأرض، وعلى رأسها صبت  
مطراً من الغيوم، ثم تزينت بالأصداف وبالدم دهنت وجهها وشفيتها..

ليرحب بها السيد ذبح على شرفها ثوراً وعجلاً.

ثم إنه أرسل بعيداً عن حضرته جميع النسوة الأخريات..

ثم أسر إلى حبيته بسر البرق والأمطار، وسرت بينها لغة هامة  
لا يفهمها البشر ولا الآلهة..

وبعد لقائهما المقدس أمرت عنات كل عابdatها أن ينادين أزواجهن  
وإلى الأبد: يا بعلي..

## قصر بين الغيوم

ثم إن بعلاً اشتكى بمرارة يوماً لحبيته:

- كيف لا يكون لنا أيتها الحبيبة بيتنا وعشنا؟ وكيف لسيد الأرض أن يحكم الأرض من العراء في أعلى الجبل دون قصرٍ منيف؟.. أيكون ملكٌ دون بلاط؟ وكيف يكون الملجأ الوحيد للجبار بعل وبناته وزوجاته هو قصر أبيه إله السماوات؟..

- القصر للإله في السماوات كالمعبد على الأرض، ومن دونه لا يُعبد إله.. غداً أجذب الثور أبي من ردائه، وإن لم يستجب لندائي لطختُ لحيته البيضاء بدمائه.

وهكذا زرعت الثائرة قدميها على الأرض فاهتز لها العالم، وإلى منبع النهرين والمحيطين اتجهت، وإلى بلاط أبي السنين دخلت:

- سوف لن تهناً بقصرك ذي القاعات السبع يا ذا الحكمة، ولن تفرح بتاجك الأبدي إن لم تنصف ملكنا وقاضينا بعلاً.. ليس للجبار بعل قصرٌ أو بلاط، وفي العراء تنام بناته الأربع!.. إن البحرَ مستقرٌ عشترت ويم وفي كبدُ السماء مستقر شمش الساطعة وفي عالمه السفلي ينام موت، ولشاهار وشاليم وعشتر سريراً في عالم الفضاء.. فلئن أعطيت ملك الأرض بلاطه وقدسَه سقيتك خمره الدماء وإلا..



هنا يجيها ذو اللحية البيضاء مغتاضاً:

- إلى مسعاك يا عاشقة الدماء لا أجيبك أبداً.. يا من ارتجت الأرض  
لخطواتك، وسمع الكون زئيرك عبر جدران قصري..

ثم أرسل بعل اليانس صياد عشترت قدشو إلى أخيه كوثار.. وقد  
اعتاد السيد على إرسال الرسول القدس إلى كل مكانٍ لحل معضلاته وإبلاغ  
كلمته إلى الناس..

يدخل كوثار الصانع الماهر إلى مصهره، ويمسك بيد كير الحداد  
وبالأخرى ملقطة، ثم يهدي الرسول قدشو صندوقاً نفيساً ومنضدة مذهبة ووعاء  
فضياً منقوشاً بالوعول.

ثم يدخل بعل على أمه حاملاً تلك الهدايا النفيسة لكسب رضاها..  
جلست عشيرات فوق صخرةٍ على شاطئ البحر حاملةً مغزلهما..  
كانت أم النساء قد غسلت في الماء ثيابها، وعلى النار وضعت مرجلهما، وفوق  
الفحم وعاءً لتطهو..

- ما الخطب يا أبنائي؟.. ولمن هذه النفائس؟..

- لأم الآلهة عشيرات، وكى تقنع أبا السنين أن يعطي السيد مملكته  
الأبدية والتي لا تستقيم إلا ببناء معبد..

أمرت عشيرات صيادها أن يرمي بشبكته في المياه حتى يطعم الضيوف،  
ثم أسرج قدشو لها بغلاً زارت به زوجها:

- أهو الشوق قد أتى بأم أبنائنا إلينا؟ (يبتسم الثور في شكٍ).. فلتأكلي  
على منضدة إيل، وتشربي دم الشجر من كؤوس الذهب إلى جانب  
حبيك الأزلي..

كذلك فعلت أمنا العظيمة..

- ولتطلب خالقة الآلهة فلها اليوم كل ما ترغب..

- بلاطاً لراكب الغيوم أطلب.. من أرز (شرين سيريون حرمون)  
ولبنان ومن الآجر واللازورد جدرانه.. بعد أن عطشت الأرض  
وجفت سيخصص بنيّ في قدسه وقتاً للبرق والمطر ووقتاً للثلج وزمناً  
نسمع فيه صوته الهادر ما بين الغيوم.

هنا يعطي رب السماوات ضاحكاً لامرأته مجرفةً لبدء البناء فتبتسم  
عينها متهلةً وتمدحه:

- ما أشد حكمتك أيها الثور.. إذ غالباً ما تنصت لشعيراتٍ لحيتك  
الرمادية التي تنصحك..

## الشتاء

انطلق صوت الرب المختفي بين الغيوم هادراً كالرعد لأخيه الحاذق

كوثار:

- أسرع أيها الحداد بتنفيذ أوامر أبيك، ولتبني لي في أعالي جبل صفون  
قصرأ شاهقاً منيفاً بألف غرفة.. ولكن لا تتأخريا أخي..

- لبيك ياراكب الغيوم، ولكن لتسمع بدورك نصائح البنا الماهر..  
سوف يبني لك أخوك اليوم قصرأ شاهقاً، وفي وسطه يجعل نافذة  
كبرى تراقب من خلالها أرض مملكتك والبشر عليها..

- كلا يا كوثار.. لا تجعل أبداً في جدران القصر أو في أرضه حفراً  
تدعوها نوافذ..

- وحتى الملك بعل ذاته سيعود يوماً ليسمع نصائح الحكيم الماهر.. فلتفتح  
في الجدار يا أخي فتحات كبرى ترسل عبرها للبشر صوتك وأمطارك..

- إياك يا كوثار.. وإلا هربت من النافذة بناتي.. إياك والنوافذ، فكما  
لها منافعها هي كذلك مدخلٌ للفوضى..

- ستذكر يا ابن الرب نصيحتي يوماً، وستطلب مني آنذاك فعل  
ما ترفضه الآن بحزمٍ لأجل خير الأرض..

- إياك أيها الصانع، وإلا صحوتُ يوماً ورأيتُ عبر الحفرة الوجه الكريه  
لغريمي يم.. ومن الحفرة يتسلل الماء لبيتي، وعبرها حقّرتني أخي  
وبصق في وجهي كلما عاثت فيضاناته في الأرض فساداً..

- لبيك يا أخي..

ثم صاح أمراً:

- اذهبوا أيها الرجال لجلب خشب الأرز.. اذهبوا «إلى جبل لبنان  
وعيصه (شجره الملتف) وإلى جبل شرين (سورية) المحمود أرزه»<sup>(١)</sup>.

أوقدوا أيها الرجال النار سبعة أيام بلياليها، واصهروا فيها الذهب  
والفضة واكسوا بها الجدران ثم غطوها باللأزورد والأحجار الكريمة..

عند اكتمال البناء صاح الملك فرحاً بقصره وبلاط حكمه:

- من الفضة أعليتُ بيتاً، من الذهب بنيتُ قصرًا..

غداً يزورني إخوتي السبعة والسبعون ليحتفلوا معي بمسكني الأزلي،  
ولينتظم كلُّ منهم في مكانه الأبدي وفي نظام الأرض يفعل كلُّ فعله..

مع كؤوس الشراب أطعم العظيم إخوته الأرباب كباشاً وثيراناً... مع  
خمرة الخريف أطعم العظيم أخواته الربات نعاجاً وعجولاً.. ومن قصره  
العظيم أكمل الرب انتصاره الأبدي بتنصيب الأرباب له ملكاً..

---

(١) يرد اسم سورية بهذه الصيغة (شرين) يقصد بها جبال القلمون التي أطلق عليها  
الجغرافيون الأوروبيون اسم جبال لبنان الشرقية، أما في سفر التثنية التي كتب في القرن  
الخامس ق.م فيرد هذا الاسم بصيغة جبل سريون الذي خلف صيدا. وفي العهد  
الكلاسيكي يصبح الاسم سيريا.

وهكذا أقيمت له المعابد في الأرض، واحتفل فيها البشر جميعاً. ودان  
للملك الناس كلهم، لكنهم بكوا جميعاً وتحسروا إذ ما زال العالم في يباسٍ  
وجفاف..

صاح السيد المبتهج بقوته وجبروته بعد أن راقب احتفالات الحياة  
بنشوةٍ جبارةٍ من بين الغيوم:

- ما أقواني اليوم.. أنا الساعة لا أخشى شيئاً.. ولا حتى خصمي يم  
أخاف.. لقد ملكتُ الأرض وما عليها، فلتجعل إذاً يا أخي كوثار  
لي وسط قصري نافذةً هائلةً، ولتفتح لي بين الغيوم أخدوداً عظيماً..  
هنا ضحك منه أذكى الآلهة منتشياً.

ثم حمل بيده كير الحداد، وأمامه اضطربت النار الأزلية:  
- الملك ذاته يتراجع وبحكمةٍ يستمع إلى نصائح الحداد الأول.. اليوم  
أجعل لك بين الغيوم أخدوداً عظيماً..  
ثم نطق الرب بين الغيوم ولفظ سره..

ثم نفث الرياح، وأطلق عبر الأخدود العظيم بزقه، فانهمر المطر  
مدراراً عبره..

وهكذا اهتزت الأرض نشوةً إذ سالت عليها مياه الحياة..  
عصفت الرياح بالشجر فاخترت الناس في الأكواخ مشاهدين رسالة  
بعل إليهم في السماوات..

وقد علموا أن العالم يتغير الآن أمام أعينهم ويتحول..

لقد اخضرت المراعي ونبت الأزهار والثمار وأورقت الأغصان..

- هو إذاً الفصل المطير.

(هكذا صاحوا امتناناً و عرفاناً)

- وإذا لن نموت من الجوع والعطش.. شكراً من القلب يا سيد الأرض..

## سيد الحياة

ابتسم السيد راضياً وهو يراقب المطر ينهمر عبر النوافذ التي رفض في البداية فتحها.

لولا أحاديث السماء لما عاشت الأرض وأنبتت..

أخذته النشوة المطلقة وهو يراقب أسراب الطيور في الشتاء تحوم في السماوات، ورأى الغيوم الداكنة تتراكم متسارعةً.

ومن شدة الرياح أمسك خصومه الضعفاء بالأغصان وجذوع الشجر..

لقد بات الملك اليوم أقوى مما ينبغي..

إيل رب السماوات ذاته لم يبلغ في حياته هذا المجد..

فكر إيل في سره:

- (كيف لا يعلم سيد الحياة ناموس الأرض؟).

خاطب السيد رسوليهِ جُبِن (خمر) وأوغار (حقل):

- اليوم سأذهل رعيتي إذ أحول لهم المطر إلى ثلج، وإذ يفتح البشر

عيونهم سيلاحظون الحجاب الذي يكسو وجه الضوء إذ يغدو الكون

برمته رمادياً..

ثم يأمر الرب رسوليهِ كما لو كان يكلم نفسه:

- على ربكم أن يسيطر على كل مناحي الحياة وقوى الطبيعة.. حتى على العالم السفلي سأحكم كي لا يوجد في الأرض موت..

غداً تسافرا إلى صخرة المجذومين على الهضبتين اللتين تحدان آخر حدود الأرض..

ارفعوا الصخرة بيديكما واهبطا إلى دار الحرية الأزلية في أعماق الأرض..  
وادخلا ميرى مدينة أخي (موت)..

هنا ارتعد الرسولان ذعراً!

- في ميرى تعثران على العرش، وعرشُ أخي موت حفرةٌ في الأرض  
يجلس بها.. وأرض مملكته كلها غبارٌ وترابٌ وقذارة.. وساكنو عالمه  
يأكلون الطين..

- أمرك أيها الملك!

- وحذار أيها المبعوثان من الاقتراب من (موت) المقدس، وإلا جعلكما  
بين فكيه كحملين، وانجرفتما في بلعومه الهائل كطفلين رضيعين..

- نعم أيها السيد..

- واذكرا أن (موت) الرهيب يرغم (شبش) على العمل لديه نصف  
يومها، ولذا تلتهب أرضه بحرارتها الرهيبه ولهيبها المحرق.. لذا  
حاذرا من الموت احتراقاً أو أن ينسلخ عنكما الجلد..

انحنى الرسولان الهلعان، وسمعا سيدهما يكمل:



- في حضرة (موت) انبطحا له تبجيلاً، وعند قدمي أخي ذكراه أن  
بعلاً بات اليوم سيد العالم الوحيد.. بعلاً الذي بنى قصره من  
الذهب والفضة هو الملك، وأمامه اجتمعت الآلهة السبعون تبجيلاً  
واعترافاً بسلطانه.. ما عدا (موت) الذي رفض يومها الحضور!..  
أما علم أخي أن للحياة سلطاناً على الموت؟

وهكذا أطاع (جُبِن) و(أوغار) وصايا السيد، وسافرا إلى العالم السفلي..  
وهناك أعادا مرتعدين على مسامع (موت) المرعب داخل حفرة الكبرى كل  
كلمات سيد الحياة..

## الحياة والموت

انتظر بعل زمناً سماع رد أخيه في العالم السفلي، ولكن انتظاره طال زمناً..  
راح الملك يتحسر وهو ينظر حوله ملاحظاً أن لقوته المطلقة حدوداً ونهاية:  
- هو ذا الموتُ يطارد دون كللٍ كل شيءٍ حي .

انتحب السيد في حزن:

- بعد خضرة الزرع يحل دوماً اليباس، وبعد الشباب تأتي الشيخوخة،  
وبعد حياةٍ كلٍ منا مهما طالَّت يأتينا دوماً الموت!

يجيبه رسوله موافقين نائحين:

- في مملكة الأرض أيها السيد هذه هي القاعدة الأبدية، إذ يتشر في  
النهاية الحريق ليلتهم كل الغابات التي صنعتَ ويكسو اليباس  
المراعي التي خَصَرَتها يدك..

هنا يزأر البعل حدد غاضباً في يأس:

- ولكن لماذا يلاحق أخي اللدود (موت) بعنادٍ كالظل كل ما أصنع؟  
ولم يغزو بخبثٍ مملكتي ويتسلل محطماً كل دفاعاتي؟ لم لم يحضر أخي  
مأدبتي الكبرى وينحني كجميع الآلهة لسلطاني وهو منهم؟..

هنا تأتيه أخيراً رسالة (موت) الرهيبة والتي جمّدت أطرافه:

- أنسيّت يا حدد أن بإمكانني النفاذ إليك أنت كما أنفذ إلى كل شيءٍ  
آخر على هذه الأرض؟..

لقد قتلت يا بعل التنين لوتان (ليفياتان) ذا الرؤوس السبعة، ولكن  
بمقدوري وحدي تحطيمك وسحقك إلى قطع صغيرة..

عليك يا بعل الهبوط كالأخرين إلى العالم السفلي، ولتدخل بقدميك  
إلى حلق موت الهائل.. وليكن مسكنك بدورك أعماقٍ ميري..

بكي الرسولان فرعاً مرددين كلمات الوحش المرعب بفكه الهائل:

- إن شهيتي يا بعل حدد كشهية الضواري في البرية لا تشبع.. وكما  
تشتاق الدلافين إلى عرض البحار وكما توقعُ البركُ الموحلةُ بالثيرانِ  
البرية وقطعان الأيائل أشتاقُ أنا للطعام موقِعاً بالمخلوقات.. ونهمي  
هو للطين الأحمر، ومن الطين أجساد البشر ودماؤهم..

وتابع موت تهديده بلا كلل مكشراً عن فكه الهائل ذي الأسنان المريعة  
ورافعاً إصبعه السوداء العظيمة:

- ألمائدتك تدعوني أيها (السيد) لأجلس مع إخوتي وأتناول من  
يديك الخبز والخمر؟..

ثم يقهقه:

- كما سحقت التنين يوماً فسأسقط على رأسك السماء لتسحق  
عظامك وألتهمك ذراعاً بعد ذراع وساقاً بعد ساق..

هنا شهق بعل في فزع وتساءل غير مصدق:

- أهي إذاً نهايتي؟.. نهاية كل شيءٍ حي؟..

## مصير الأشياء

يرفع الوحش الأسود المرعب شديد النهم إحدى شفتيه إلى السماء ويفرد الشفة الأخرى على الأرض، وأما لسانه الهائل فيبلغ النجوم.

يراقب بعل مذعوراً كيف أيس أخوه بحريقه أغصان أشجار الزيتون، وجفف دون كلل الحقل والغابة منهيًا الحياة في كل مكان، وهكذا بات يخشاه من الأعماق، وراح يرتعد خوفاً إذ يذكر صورته..

زعق الموت بصوتٍ أجشٍ هائل:

- إن سلطاني عليك يا بعل كما على كل شيء حي.. وحدي في النهاية من سيحكم على الأرض كل شيء.. حتى الوفرة تنتهي إلى يباب، والتكاثر يستحيل عقماً.. فلتدخل يا بعل أعماقي، ولتهبط عبر فمي إلى داخل أحشائي.. ليحترق زيتون هذه الحياة، ويسقط الثمر من على الشجر.. أنا أكمّن داخل كل شيء حي ثم أكبر رويداً رويداً، إذ تحمل الكائنات في بطنها بذور فنائها..

صاح بعل مذعوراً:

- إلى من ألقا اليوم؟.. ومن ينصحني؟..

هنا ذهب السيد إلى أخويه الصغيرين (شجر) و(إثام) إلهي قطعان الماشية والحيوانات البرية، ورجاهما بائساً محطماً:

- ابعثا يا أحبائي إلى (موت) النهم بقطعانٍ من الخرفان والعجول  
والخنازير البرية عليها ترضي نهمه فينصرف عني.

امثل الكريمان (شعر) و(إثام) لتضرعه بإرسال قطعانٍ من الحيوانات  
دخلت تباعاً في العالم السفلي إلى أحشاء موت..

لكن موت لا يلبث أن يزعق بعد كل وجبة:

- سأدفنك يا بعل في قبر الأرباب الموتى.. سأسلبك غيومك وعواصفك  
وأمطارك، ومن يدك أستولي على الصولجان الذي تصنع به الرعد..

هنا يبكي بعل مرتعداً وهو يسمع الوعيد:

- وتحتفي معك ابتناك الكبريان (بدر) و(طلا) إذ تموتان بموتك..  
سترفع بيدك الجبال وتهبط إلى دار الحرية الأزلية حيث ستنبطح في  
قبرك الكبير ووجهك للأسفل وحيث ستُحسب مع الموتى..

هنا ركع بعل أمام الإله الأعلى (إيل) طالباً العون والنصح:

- أنت يا أبتٍ ملجئي الأخير.. أيؤول إذاً كل ما بنيت للموت؟

لكنه سمع من فم الحكيم الجواب المرعب:

- على الأرض ينبغي على الجميع، وحتى بعل نفسه الخضوع لسلطان  
الموت..

آنذاك فقط سلم بعل يائساً لحكم رب السماوات..

ينظر حوله في أسى ملاحظاً أن لكل شيءٍ نهاية.. الحياة السعيدة.. جميعُ  
الأفراح والمال والوفرة والأطفال جميعهم إلى زوال.. حتى الخصبُ والزرع  
والخضرة كلُّ إلى يباس، وهكذا الحياة لا تدوم..

يرسل بعل رسوليهِ في استسلامٍ كاملٍ لحكم موت:

- نعم أنت المسيطر وأنت الأقوى.. ما جبروتي وشبابي وقوتي إلا  
محض وهم.. كذلك خضرة الحقول ومطر الشتاء جميعها حلمٌ جميلٌ  
عابرٌ وسراب..

ابتهج (موت) المرعب أيما ابتهاجٍ بحكم أبيه إيل له، وقهقهه بصوته  
الأجش:

- فلتتناول إذاً أيها الإله الفاني وجبتك الأخيرة، وتسلم نفسك  
لسلطاني.. ستحترق الأشجار وتَسْوَدَ الغابة الحزينة ليعرف الجميع  
عند ذلك أن سيد الحياة قدمات..

## الرحلة الأخيرة

زارت شمش الحنونة أخاها الموشك على رحيله الأبدى..

بيكي العظيم بعل لأخته رافعاً عينيه إلى السماء:

- لقد تركني أبي لقدري الرهيب يا أختاه وهجرني.. لم يا إلهي  
هجرتني؟..

- لست وحدك يا أخي.. لا تنس أنني أدخل بدوري كل يوم مقبرة  
الآلهة عابرةً الجبلين الشاهقين الفاصلين بين عالم الأحياء ومملكة  
الموتى، ثم أمضي في الظلام نصف أوقاتي في ضيافة إله الفناء..  
أوما السيد موافقاً، فأكملت شمش:

- إن عليك أن تتكيف مع ضرورة الموت.. جاهد للبقاء في مملكة الظلام  
كما فعلتُ قبلك، ولتقدم لذي الشهية الذي لا يشبع من هو على صورتك  
بديلاً.. إن على الحياة يا أخي أن تجد لها منفذاً في النهاية من برائن الموت،  
وعلى البشرية رغم حقيقة الموت أن تتفادى الفناء النهائي..

وهكذا اصطحب بعل أمطاره وغيومه وصواعقه في رحلته الأخيرة،  
ولحقت به ابتاه النائحتان دامعتي العيون..

في الطريق إلى مملكة الظلال والأشباح تناول بعل وجبته الأخيرة، ثم  
وقعت عيناه على عجلة حسناء وسط الحقول..

ثم إنه اضطجع مع العجلة سبعاً وسبعين مرةً، إلى أن ولدت له ابناً  
على شاكلته..

فتح بعل عينيه محمداً بالفتى في ذهول..

- كم يشبهني!

ثم إنه كسا البديل ثياباً ومئزراً قصيراً.

ثم وضع في يده صولجان الرعد وقلبه ينبض بعنف..

ثم عبر الركبُ الجبلين الفاصلين إلى العالم السفلي..

في عالم الموتى قدم بعل بديله إلى الوحش الذي لا يشبع، والذي التهمه

على عجلٍ وفي سرور بالغ..

على أرض الهاوية سقط بعل بعنف، فارتطم جرمه الهائل بالأرض

محدثاً صوتاً مدوياً..

في مقبرة الآلهة حيث ينبطح سيد الحياة ووجهه للأسفل تعضُ شفّتا

العظيم الثرى وعيناه مفتوحتان عن آخرهما.

فليسمع القاصي والداني..

لقد هلك اليوم سيد الحياة!

والحياة ذاتها في كل مكانٍ ستبلغ نقطة النهاية، وعلى العالم سيسيطر الفناء

وتتوقف الأمطار زمناً ويعم المحل..

لقد تلاشت الحياة وجف الزرع واحترقت الأشجار وماتت الماشية..

- أين أخطأنا يا إلهي وما نحن اليوم فاعلون؟..



السفر الثالث

القيامه

---



## الإله الشهيد

يرفع حليفاً بعل الرسولان المقدسان ذراعيهما ويأخذان في النواح..

يسأل أوغار الحقل (راعي مدينة أوغاريت):

- والآن ما نحن فاعلون؟..

يجيبه أخوه جُبن (خمر):

- لتتوجه يا أخي إلى الحكيم إيل حيث منبع النهرين والبحرين..

في بلاط أبي السنين يصيح الرسولان الإلهيان:

- لقد فني السيد يا إله السماوات.. عثرنا على سيد الخصب والمطر ميتاً..

كان وجهه المبارك مغموساً في التراب، وجسده الهائل مسجى وسط

حقلٍ أخضر فسيح.. وإلى جانبه استلقت فأسه المباركة..

إذ يسمع رب الرحمة في السماوات نبأ موت ابنه وربيبه يصاب بالصدمة..

ثم ينهار حزناً واقعاً عن عرشه إلى عتبة العرش، ومن العتبة إلى الأرض..

يصاب بقية الأرباب بالذهول وعدم الفهم إذ يرون دون فهمٍ ما يفعله

رب السماوات..

ومنه يتعلم الناس طقوس الجنازة..

وإذ يغرس إيل ركبتيه في الأرض يهبل على رأسه رماداً من الحسرة، وعلى وجهه ينثر غبار اللوعة..

ثم يرتدي عباءةً فضفاضةً من الخيش..

وبموسٍ من الصوان يخلق إيل رأسه وسالفيه، ثم يدق الترقوة بيده ويحفر صدره كما يحرت المحراثُ الحقل..

يمزق الرب رسغيه، وفي خصره يحفر وادياً..

ثم يجول الرحمن الجبال والطرق نائحاً عبر غابة الأسي ومعلنًا النبأ على الجميع:

- لقد مات السيد.. ماذا سيحل بشعب ابن داغون؟.. وما سيحل

بالوفرة والخصب؟.. لقد مات أيها البشر ملككم!

لم نصدق نحن البشر أن الملك يمكن أن يموت.. بصوتٍ مرتجفٍ رحنا نغني له الأناشيد، ونصلي لقيامته متضرعين..

مع موت سيد الحياة يحل على الأرض فصل الصيف الطويل القاحل والقائظ، ومعه يموت بالتدرج كل شيء..

يجتمع الكهنة في المعابد، وعلى شرف سيدهم القليل يأكلون الحملان..

ثم تحذو كسيرة القلب عنات حذو والدها، فترتدي الخيش وتجرح خديها حزناً وتحفر في صدرها بحيرةً من الأسي وعلى الملاء تنوح:

- لقد مات الحبيب.

تشرب عنات دموعها من كأسٍ كالخمرة..

ثم إنها تزور أختها المفجوعة شبش وترجوها:

- لتساعديني أيتها الساطعة كي أعثر داخل أعماق الأرض على جثة الحبيب. إن علينا دفن جسده المسجى.. وهناك إلى مملكة العالم السفلي لا يصل أحدٌ غيرك أيتها الشمس..

## الصيف الطويل..

توافق شبش الشعلة الساطعة على القيام بالمهمة..  
وهكذا تروح الأخت الحنون باحثةً أياماً طويلةً عن ظل أخيها في كل  
مكانٍ حتى بلغ اليأس منها مبلغاً كبيراً..  
في الوديان والحقول والأنهار تتسلل أشعتها الحمراء، وحتى في مملكة  
الظلال حيث تُمضي الليل لا تتوقف عن البحث..  
حين تعثر أخيراً على الجسد المسجى في غياهب التراب، ترفع شبش  
بأشعتها القوية الجثة الهائلة.. ثم على كتفي عنات القويتين تضعها..  
وهكذا تتعاون الأختان المفجوعتان على حمل بعل الشهيد إلى خبايا  
جبل صفون..  
هناك تدفن عناة بيدين مرتعدتين بعلاً في حفرة..  
ثم تضحي العذراء بسبعين ثوراً وسبعين بقرةً وسبعين غزالاً وسبعين  
حماراً كما يليق بملك الآلهة..  
وهكذا يتناول الناس اللحم في وجبة الجنازة داخل معابد بعل..  
ويتساءلون في أسى عما إذا كان السيد سيعود إليهم يوماً، وتعود حياتهم  
سعيدةً كما كانت..

ولكن رغم الحرارة والعطش والجفاف كان قمحهم المزروع داخل الأرض ينمو ببطءٍ دون أن تفسده عواصف الشتاء وفيضاناته..

يتساءل الناس بفرحٍ في صلواتهم:

- كيف ستكتمل دورة حياتنا على هذه الأرض دون عودة سيد الحياة؟..

بعد انتهاء مراسم الدفن تدخل عنات قصر أبيها في السماء.. كانت فجيعتها قد استحالت غضباً.. وهكذا تنهار على ركبتيها أمام العرش ثم تصيح في جنون:

- والآن ما أنتم فاعلون بعد موت السيد؟.. لقد وقفتم جميعاً في خمولٍ وهجرتم السيد وتركتموه يكابد مصيره وحده..

غير أن صيحاتها لا تحصد سوى الصمت..

- لبيتهم جميع إخوتي الذين لم يؤازروا بعلاً، ولتفرحي يا عشيرات فرحك العارم واختاري اليوم إلهاً آخر من أبناء رحمك ليحكم هذه الأرض التي غرقت في القحط والفوضى..

هنا يصيح رب السماء في زوجته أمراً:

- أعطِ يا إيلات<sup>(١)</sup> واحداً من أبنائك إلي كي أعينه ملكاً على الأرباب الآخرين..

ردت عشيرات خالقة الأرباب:

- نختر أيها الثور من يملك المعرفة والذكاء..

---

(١) إيلات مؤنث أيل.

عارضها إيل بحصافة:

- بل ليكن هذا الملك صلباً قوي العود.. ليمكن من أن يجري الرياح  
في الفضاء، وليطلق ابنا رحمة في السماء كبرق بعل الساطع.. وهكذا  
يهطل المطر عند الحاجة ليشفي ظمأ الأرض العطشى..

لكن عشيرات أجابته في عناد:

- بل نجعل ابنا عشترا الرهيب رب النجمة ملكاً اليوم بعد أخيه  
القتيل.. لقد انتظر عشترا بصبرٍ دوره زمناً طويلاً، وإذاً فليحكم من  
الآن فصاعداً الناس والأرض..

تنهد إيل بعمقٍ، ونظر إلى زوجته نظرة شكٍ وحيرة..



## عَشْتَرُ وَبَدْرَا

التمعت عينا عشتَر رب نجمة الصباح والمساء في ذهولٍ وسرور غير  
مصدق..

لقد تمنى الإله المضيء منذ دهورٍ أن يغدو ملكاً على جميع الآلهة، وانتظر  
بفارغ الصبر قدوم هذه اللحظة المجيدة.

كان الإله الشاب قد اتخذ في تلك الأثناء من بدراي (ربة الضياء قرينةً له)..  
ولكنها أرغمت اليوم على الانزواء والانعزال بغياب أبيها الشهيد..  
وهكذا فقد أقام الإله المضيء الاحتفالات الصاخبة بمناسبة خلافته  
للعرش بعيداً عنها..

وحين أزفت لحظة الرحيل أقبل مودعاً حبيبته ابنة بعل..

حين سمعت الابنة الجريجة كلام عشتَر ناحت وندبت حظها قائلة:

- لم حُكم على ربة الضياء أن تعاني من فقد الأب والزوج في الآن ذاته؟!..

وهكذا ترقرت عينا البدر الجميلتان بغلالةٍ شفافةٍ من الدموع..

أجابها عشتَر معللاً:

- من بين أرباب الفلك الخمسة الساطعين في السماء لم أنل يا حبيبتي

إلا مركزاً ثانوياً..

لقد تباهى التوأم شاهار وشاليم دوماً بأنهما بكر إيل، بينما حكم ياربخ  
الجميل إله القمر عالم الليل، وأما شبش فقد حظيت على الدوام بمكانةٍ  
خاصة.. اليوم فقط أعطاني أبي عرشي الذي أستحق، وبات علي الساعة أن  
أمضي كي أجلس على العرش وأدير شؤون العالم..

وهكذا فقد مضى الرائع عشرت صباحاً، ومشى باحثاً عن عرش أخيه،  
وحيثما مشى راح كوكبه الشاحب في السماء (الزهرة) يلاحقه ويحرس خطواته..  
بينما غرقت بدرا في بحر دموعها..

ومعها جلست أخواتها الثلاث طلا وأرصا ويبردماي الصغيرة لمواساتها  
قابضاتٍ على ذراعها النحيل برقةٍ وحنان..

تنهدت طلا (ربة الندى) مخاطبةً أختها الحزينة:

- لقد كتب علينا يا بدرا أن نختفي عن الأعين أنا وأنتِ، وننزوي  
ربما إلى الأبد إلى أن تحصل معجزةٌ ما..

أجابتها أرصا (ملكة الأرض) في أسي:

- نعم فلا ضباب في السماء ولا مطر على الأرض في غياب أبنينا الشهيد..  
وهكذا عاشت بنات بعلٍ الأربع في محنتهن وحيداتٍ يكابدن ويلاتهن  
في صمت..

## عشتر على العرش

تسلق الإله المقدام الشاب أعالي جبل صفون باحثاً في هممةٍ وجدٍ عن  
عرش أخيه الأكبر وحاملاً بيدٍ صولجاناً وبالأخرى شعلة.

بعد طول عناءٍ يعثر الإله الرائع على عرش سابقه على قمة الجبل  
الشاهق الأقرع.

ولكنه يصاب فوراً بالذعر حين يلاحظ شدة ضخامته!..

وإذ اعتلى عشتر بصعوبةٍ عرش عليان بعل (العلي) وجلس عليه لاحظ  
فوراً أن قدميه لم تبلغاً مسند القدمين مهما حاول أن يتمطى أو يتناول..

وكذلك لم يبلغ رأس رب نجمة الزهرة قمة العرش، فلا يكاد الرب  
يُرى إذ يستوي على العرش!

الآن وقد بات للأرض ملكٌ جديد انتظر البشر طويلاً هطول المطر بعد  
طول العطش، ولكن بلا جدوى، فالمطر لم يهطل!

وهكذا فقد تضرع الناس للرهب طويلاً أن يروي ظمأهم.

لكن عشتر لم يقدر أن يزفر الرياح ولا أن يجلب كأخيه العاصفة أو  
مياه المطر.

وهكذا فقد صاح أخيراً في الناس بغضب:

- فلتملئوا الأوعية من البئر وكذلك الحياض من ماء النهر، وبها تروون الحقول..

كذلك فعل البشر اليائسون فحفروا الآبار حتى لا يموت زرعهم في ذلك الصيف القائط، ولكنهم أنكهوا واشتكوا في سرهم من أن الآلهة لا توفر لهم حاجاتهم على الأرض..

كان عشتري يشعر بالأسى الشديد وهو يحاول تدبير حياة الناس وحكم الأرض، وقد أدرك اليوم أن حكم الأرض مهمةٌ صعبةٌ حقاً..

ثم حاول دون كللٍ أن يتمطى على العرش كي تبلغ قدماه الأرض وليملأ مكانه المناط به.. لكنه في النهاية صاح في ذعرٍ معلناً:

- أنا لا أقوى على الحكم في أعالي جبل صفون، فأى إلهٍ أنا؟

.. عشتري الرهيب ليس ملكاً لأنه أصغرُ من العرش، ولأنه ليس هائلاً بما فيه الكفاية كي يحل محل السيد..

وهكذا هبط رب نجمة الصباح والمساء عن عرش السيد مستسلماً..

نحو قصر أبيه في السماوات مشى متهاكاً كسير القلب، ثم دخل البلاط في قمة اليأس، وعلى الأرض ركع أمام أبيه باكياً..

- المعذرة يا إلهي وأبتي..

لكن إيل العطوف الذي وَبَّخَ بعينيه عناد أم الآلهة مسح على رأس ابنه في حنانٍ وخاطبه:

- لا عليك يا بني، فأنت رب النجمة وما زلت.. ومن الآن فصاعداً  
تصبح كذلك إلهاً راعياً وحارساً لنهر الموتى في باطن الأرض..  
وهكذا راح عشتار القانع بمملكته الصغيرة يختفي كأخته شمش زمنياً في  
غياهب الظلام أكثر مما يُظهر للبشر وجهه المضيء..  
وبغياب حامل الشعلة يبقى عالمنا بلا حاكم، ويستمر العطش والقحط  
والحر في إحراق الأرض الموشكة على الموت والفناء..

## دموع العذراء

ها قد بلغ الأسى والنحيب مبلغها من قلب عنات العذراء:  
- لقد استبد بي الشوق يا بعلي، وقد أصبحت وحيدةً مقفرةً من بعدك  
كهذه الأرض العطشى..  
ثم عقدت عنات العزم في سرها على مجابهة عزيز إيل وبطله الجديد  
موت..

ثم تمر الأيام والشهور وعنات ما زالت تبحث عن روح القتيل..  
كقلب بقرّة على عجلتها كان قلب عنات المتلهف على بعليها..  
وكقلب الشاة على حملها كذلك اشتاق قلب العذراء للقاء الحبيب الذي  
سرقه الموت..

وهكذا اقتحمت ربة الحرب بعنفٍ كالعاصفة بلاط موت، وعلى ياقة  
ردائه قبضت، ومن ذيل ثوبه قيدته صائحةً به في غضب:

- أعطني يا موت أخي.. ولتسلمه اليوم إلي..

يفتح الوحش الأسود فمه المرعب في ذهول:

- عم تتحدثين يا أختاه؟.. لقد فات الأوان فكيف تطلبين ما تطلبين؟

- لقد سمعتني أيها الوحش النهم..

- أما علمت أن شهيتي لا تشبع أبداً؟ وأن بعل الذي سقط ميتاً على أرض مملكتي قد بات الآن داخل أحشائي؟

ارتعدت عنات مشمئزّة من حديث أخيها وهو يكمل:

- لقد بحثتُ عنه جائعاً في كل حقلٍ وكل تلةٍ على أرض مملكتي حتى عثرتُ عليه في المراعي عند حدود مملكة الموت.. ثم إنني جعلته حملاً في فمي الهائل، وكطفلٍ طحنه فكي وانتهى الأمر، ومعه التهمتُ الوفرة والخصب فكيف تطلين اليوم ما تطلين؟..

وهكذا مرت شهوّرٌ توهجت فيها شبس حارةً ساطعةً في كبد السماء دون أن تعبر وجهها غيمةً واحدة..

وحتى الأرض المتشقة مرضت وأئهمت على أيدي موت المقدس إذ دام الصيف ردحاً فيه تابعت عنات بحثها اليأس..

وراح حنق العذراء ويأسها ينمو ويزيد، وما فتئ غضبها يتأجج كشجرةٍ من نار فقررت إنهاء هذا البؤس بيديها، وحين صادفت موت ثانيةً انقضت عليه كالوحش قابضةً على ثوبه..

لم يقدر موت المقدس وقد بوغت تماماً على مقاومة غضب ربة الحرب وحقدتها..

بسيفها شقته نصفين كمزارعٍ يحفر الأرض..

وبمذراتها غربلته

وبنارٍ أحرقتة..

ثم بحجر الرحي طحنته

وفوق كل حقلٍ بذرتة..

لم يبقَ على العذراء إلا أن تصنع من الموت خبزاً..

ثم أكلت الطيور من الحقول تلك البذور.

والتقطت العصافير الصغيرة ما تبقى منه..

إن اللحمَ يحنُ إلى اللحم..

ثم سمع الناس بقصة العذراء والموت، ومثلها وضعوا بذورهم في الحقل..

حفروا الأرض ثم نثروا البذور وحصدوا السنابل وبحجر الرحي

طحنوا القمح..

لقد تعلموا من ربتنا الزراعة وطحن القمح وصنع الخبز..



## الآلام

راحت عنات الهائجة تصيحُ كالمجنونة:

- لقد قتلت العذراء الموت نفسه..

غسلت يديها في الدم وأعلنت بخطورةٍ على الملاء:

- لقد قتلتُ الرب وذلك هو العدل.. إن الحربَ تحققُ العدل..

وهكذا يموت (موت) المقدس ذاته إكراماً للسيد..

ثم إنها تسأل في يأسٍ أباهُ إيل:

- إن كان سيد الأرض حياً يا أبتِ فلتحلم به الليلة، ولتشاهد رؤيةً

تُعلمني فيها بوجوده..

ثم إن رب الرحمة رأى في تلك الليلة مناماً عظيماً، وتجلت له رؤيةٌ

غريبةٌ غامضة..

فتح رب السماوات عينيه في الصباح مضطرباً، وراح يروي بصوتٍ

مرتعدٍ منامه للجميع:

- لقد صاح بي صوتٌ عظيمٌ في المنام:

(إن كان الأمير رب الأرض حياً لتمطر السماوات زيتاً، ولتفض

الوديانُ بالعسل)..

آنئذٍ فقط نعلم أن بعلاً هو حيٌّ يرزق..

بعد هنيهةٍ أذهلت السماء المشتاقه لسيدها الأربابَ جميعاً إذ انفرجت  
صفحتها وانهاled منها وابلٌ من الزيت.. ثم جرت الأنهارُ وفاضت الوديان  
عسلاً..

هنا تعزى خالق المخلوقات وقد فتح عينيه على اتساعهما، ثم إنه ضحك  
واضعاً قدميه على مسند العرش ورفع صوته قائلاً:

- دعوني أجلس وأستريح، وفي صدري لتهدأ روعي المتعبة لأن بُنيَّ  
القوي حيٌّ يرزق..

ثم نادي على ابنته ربة الحرب قائلاً:

- لقد تأوهت أيتها المحاربة أرواح البشر من طول العقم والجفاف  
والقحط في هذا الصيف الأبدى..

اسمعي يا عنات.. لقد امتلأت الأرض العطشى بالشقوق وفي أحد  
تلك الأخاديد داخل الأرض المحروثة يستلقي الجبار بعل حياً..

في حيرتها وفرحتها تخاطب العذراء أختها شبش في لهفة:

- ساعديني يا شعلة الآلهة ومنيرة الأرض.. أنتِ يا من ترين كل شيءٍ  
من كبد السماء، وتنفذ أشعتك عبر الشقوق.. إن أباك في السماوات  
يأمرُ بالطواف فوق الأخاديد المحروثة بحثاً عن روح الإله الشهيد  
الهائمة..

تجيبها الشمس:

- أفعل بشرطٍ واحدٍ يا أختاه: فلتصبي النبيذَ الفوارَ من وعائه على  
الأرض، وليرتدي أطفال العالم أكاليل الزهر بينما أطوف أنا في  
السماء بحثاً عن روح الشهيد..

- أينما ذهبتِ أيتها المباركة لتحرسكِ يد الرب..

## القيامة

وهكذا ارتدى الأطفال أكاليل الزهر، ورفعوا رؤوسهم القمرية نحو  
قرص الشمس متضرعين لبعث الرب..

- السيد حي.. هكذا أخبرنا أبونا في السماوات..

كذلك ردد العباد المحتشدون وهم يصبون النبيذ من الجرار فوق الأرض  
المتشقة عسى أن يهطل المطر.

إن أشعة الشمس تخرق وحدها كل شيء في العالم، وتتسلل عبر النبات  
وتراب الأرض، ويدها مفاتيح العالم تحت الأرضي..

تبتسم شبس قائلةً في ثقة:

- أنا لا أخشى اليوم شيئاً حين أبحث في غياهب العالم السفلي الذي  
فقد سيده (موت).. الوحش المرعب ما عاد هناك ليؤرق سكينه  
الظلال والأرواح..

وهكذا غابت الشمس زمناً في غياهب الظلام السحيقة المحترقة..  
ولأن شمس بدورها حارةً محرقة فهي لا تعبأ بنيران الجحيم..

وحين تعود شعلة الفضاء إلى العالم يرى البشر على كتفيها بعلاً فيطلقون  
صيحات الفرحة المستيرية..

كان السيد قد قام مذهولاً من قبره شاحباً من موته ومضراً جأً بدمائه الجافة..

- لقد بُعث الرب..

صاح الناس غير مصدقين، وما فتئوا يتنادون ويكررون في كل مكان:

- الرب قام.. حقاً قام من بين الأموات..

ثم تقام الاحتفالات في كل مكانٍ عفويةً صاحبةً بعيد قيامته المجيدة..

- نعم.. ما أسعدنا إذ كنا شهوداً على قيامته..

بعودته تفتح السماء بمطرٍ مدرار.. وبهاء السماء تعود للأرض الحياة والخصب، وللقلوب والنفوس الفرح والبشارة.. ثم تتوالد القطعان وتجري الأنهار متدفقةً..

حين أدرك السيد ما حدث قبض على كل إخوته الذين تأمروا عليه مع الموت، وضربهم بسيفه العريض..

وعلى الأرض جرّ أتباع موت المقدس وعباده ومريديه، وقطع أعناقهم..

ثم استوى الملك على عرشه فوق وسادة كي يحكم من جديد عالمنا المبتهج لعودته..

## الصراع الأزلي

ولكن من ذا الذي قال إن الموت يمكن أن يموت أو يُهزم؟..  
ربما توهمنا ذلك زمنًا، غير أن الموت ما يفتأ يعودُ إلينا بعنادٍ لا يلدن  
وبطرقٍ شتى..

في العام السابع للهزيمة المهينة وبعد زمنٍ من الرخاء والوفرة لا يعلم  
أحدٌ كيف تسلل قدرُ البشرية المقدس عائداً إليها لينتقم..  
من حيث لا يدري أحدٌ رفع موت صوته الفظيع في مملكة السماء بعد  
راحة سبع سنين:

- بسببك أيها الملك عرفتُ للمرة الأولى الذلّ والاحتقارَ والهزيمة..  
بسببك أيها الملك عرف جسدي السيفَ والنارَ والمذراة، وسكنتُ  
بطونَ الطيورِ وأعماقَ البحار..  
هنا تأوه البشر باكين متسائلين:

- ولكن كيف يعود الذي شق وأحرق وطحن وفي الحقول بُذر؟..  
رد آخرون:

- كما السيد الشهيد بُعث كذلك الموت ذاته يُبعث، وهو حقاً قدرُ  
البشرية..

يصيح الموت المقدس كعادته وهو يتضور جوعاً:

- إن عليك يا بعل أن تطعمني كل حينٍ واحداً من أطفالك البشر،  
وحتى أَرْضِي أن تطعم فكي واحداً من إخوتك.. وإن لم تمتثل  
التهمتُ هذه المرة البشرية كلها مرةً واحدة!

لكن سيد الحياة الآن ما عاد يخشى الموت، إذ رأى بأم عينيه كيف  
دافعت عنه مكنونات الطبيعة، وكيف جاع بغيابه البشر وعطشت الأرض..  
بعل ما عاد يرتعد ذعراً من فئائه بل بات يرحب به إن لزم الأمر..

وهكذا طرد سيد الحياة الموت من مملكته..

- فلتأكل يا موت أبناءك وأتباعك وحدهم..

وهكذا حدق كلُّ من التوأمين بالآخر بعينين مشتعلتين جمرًا.. كان  
الصراع الأزلي بين الحياة والموت على وشك أن ينشب..

- انتقاماً لهم ولكرامتي المهدورة سَأدمرك وأغزو الأرض وأسحقك  
يا بعل..

وهكذا بصراع العظميين حل على العالم الجفاف الرهيب الذي يقع  
على الأرض مرةً كل سبعة أعوام..

إنها المجاعة والمحلل إذًا..

## الخير والشر

وهكذا نطح كلُّ منهما صدر الآخر كالثيران البرية..  
كوحشين هائلين هز أحدهما جسد الآخر في عنف..  
عَضًا وتدافعا وجر واحدهما الآخر فوق الأرض..  
حبست الآلهة أنفاسها وهي تشاهد أم المعارك..  
التف أحدهما حول جسد الآخر كأفيعين عملاقتين، ثم ركلا بحافريهما  
كحيوانات السباق وتساعد من صراعهما الغبار إلى قبة السماء..  
كان سيد الحياة جباراً وكذلك كان سيد الموت جباراً..  
وهكذا انهار موت المقدس متعباً وكذلك سقط على الأرض سيد  
الحياة منهكاً..  
وقد علم كلُّ من رأى صراعهما الفظيع المتكافئ استحالة أن يتغلب  
واحدهما على الآخر، وأن حربهما المرعبة أزلية كالقدر ليس فيها غالبٌ ولا  
مغلوب، وأنها في الواقع حربٌ جميع البشر مع الفناء..  
تمدد كلُّ من الإلهين على الأرض بجرمه الضخم مشخناً بجراحه  
متعرقاً ونازفاً..



هنا تدخلت كعادتها شبس العطوفة وصوت العقل، إذ دنت من أخيها موت قائلةً:

- كيف تحارب يا موت أخاك هكذا؟ وكيف لا يسمع أبوك وعيدك ومنك لا يغضب؟ كيف يمكنُ للأب أن لا يحزن وهو يرى أبناءه يقتل واحدهما الآخر؟..

- إن علي أن أنتقم، وعلي كذلك أن أرضي نهمي وجوعي..

- فلتجلس على عرش مملكتك ويجلس بعلٌ في مملكته..

وهكذا تتابع الحكيمة حجتها:

- كيف لا ترى أن إيل ما خلق العالم إلا لهذا الهدف وعلى هذه الصورة؟ حتى تتعارك الحياة والموت إلى ما شاء إيل؟.. عالمٌ فيه الشمسُ والقمرُ والنهرُ والبحر لا يمكنُ أن يحكمه الموتُ إلى الأبد.. إن الذي خلق الناس ليتكاثروا ويفرحوا ويأكلوا لا يمكن أن يفنيهم عن بكرة أبيهم، ولن يحرق للأبد زرعهم أو يبني أنعامهم..

راح إيل يتفرج من عالي السماوات على الصراع الأبدي بين الموت والحياة، ويومئ برأسه موافقاً على كلمات شبس الحكيمة والتي تابعت تدخلها:

- فليلتهم فمك القرايين بين الحين والآخر، ولتحكم إلى الأبد عالم الظلال والأشباح حيث تأتيك أجسادُ الموتى في كل يوم، ولترك سيد الحياة على الأرض ملكاً متوجاً..

هنا يدرك عزيزُ إيل ومُدَلِّلهُ موت المقدس أن الانتصار الناجز ما عاد  
ممكناً له، وهكذا ينهض منسحباً وقد أدرك أن عليه من الآن فصاعداً تقاسم  
العالم مع أخيه..

وكذلك يتقاسم الخيرُ والشر هذا العالم.

وكذلك النهارُ والليلُ والموتُ والحياةُ والخصبُ والجفافُ في دورةٍ  
أزليةٍ ما تفتأ تتكرر..

فسبحان إيل خالق الكائنات..

السفر الرابع  
الأرباب

---



## عنات ربة الحرب

وما تزال عنات حتى اليوم وإلى أبد الأبدین غاضبةً من الخيانة والنسيان..  
زجرت الربةُ في البشر والأربابِ الآخرين مرتديةً خوذتها وموبخةً  
بصوتٍ حاد:

- كيف انقلبتم على سيد المطر والغيوم والحياة نفسها؟.. كيف تابعتم  
صراكم وطمعكم الذي لا ينتهي وسهوتكم عن أهداكم الحياة؟..  
وهكذا هبطت الشابة القوية سيدة المعركة فضربت بحقدٍ الوادي وأثارت  
بين كل مدينتين متجاورتين الحرب كالغبار..

ضربت عنات بيدها أناس الشاطئ، ودمرت عند كل غروبٍ بعضاً  
من جنس البشر كضريبةٍ أبديةٍ يدفعها الناس.

تحتها استلقت الرؤوس البشرية كالنسور المتساقطة ميتةً من السماء،  
وفوقها امتدت الأيدي المبتورة كالجراد، وفي جعبتها اجتمعت أذرع الجيوش  
الجافة كالأشواك..

وهكذا كدست المخيفةُ الرؤوس على ظهرها، وإلى جذعها قيدت  
الأذرع المقطوعة، ثم خاضت بساقيها إلى الركب في دماء الجنود، وبقوسها  
أطلقت رماحاً أصابت بها ظهور من تبقى..

ثم دخلت قصرها غير راضيةً بعد..

غسلت أم الأبطال بدماء الرجال يديها..

ومن وعائه سكبت على الأرض زيت السلام..

- لأنتمن حتى نهاية الأيام من البشر الذين خانوا.. سيقتل واحدكم  
الأخر، وينقلب الجزء على الكل حتى لا يبقى في صدر مخلوقٍ راحةٌ  
ولا سلام..

ويوماً بعد يوم كلما رشقتنا أم الحروب ذات الدرع المعدني بمعركةٍ  
جديدة امتلأ قلبها بالبهجة وأتخم كبدها بالضحك لأن يد العذراء المحاربة  
هي يد النصر الأبدية.. يا ويلنا!

لقد أغضبنا منا من لا يرحم، وأثرنا حنق ضاربة الرؤوس.

إن عنات هي العادلة، والعدالة كلمةٌ مخيفةٌ حيث أن العدالة الحققة لا  
تعرف الرحمة بل القصاص الرهيب فإلى متى يُنسكب في أرضنا سيل الدماء؟..

## عنات ربة الجب والدموع

ولا يهدئ روع المحاربة كل حين سوى أثيرها بعل..  
حبيبها الذي ترعاه بعينها وتقاتل لأجله كاللبوة المفترسة.  
وهكذا تتردد العاشقة على السيد كل حين في قصره، وتسأل عنه الخدم  
ليخبروها أنه في البراري يصطاد.  
وتروح عنات باحثة في لهفة عن السيد في كل مكان.  
وإذ تعثر عليه تأخذه المفاجأة ثانية ويرحب بها مسروراً، وبه تقترن..  
ثم يقال لها إنها ستحمل منه بشورٍ صغير!  
وتنبئ بعلاً على جبل صفون بالنبأ السار فيفرح أي فرح..  
ثم إنها تنجب للعالم سلالة الثيران البرية الهائجة والقوية والعنيفة مثلها،  
والتي يشبه وجهها ولحيثها تماماً وجه السيد..  
غير أن العذراء المبتلاة أبداً بقدر الحرمان تفقد كل عام زوجها  
وحبيبها، ثم تدفن بيديها جسده..  
وتروح نادبةً حظها العاثر وتندبه بدموعٍ كالأنهار..

ومن ذلك اليوم يلاحظ السوريون أن جميع أنهارهم التي تنبع من الجبل  
وتصب في البحر تكتسب صبغةً حمراءً قانيةً في الوقت ذاته من كل عام...  
إذ تمتلئ هذه الأنهار بدم بعل تصبغ كذلك عند مصباتها ماء البحر  
بالحمرة الداكنة..

وحين يكون البعل غائباً ينبغي على المرأة الاعتماد على النفس.  
وهكذا تعلم الربة المحاربة جنس البشر فن الصيد حين لا يكون ثمة مطر..  
وتحت رعايتها يتعلم الأطفال في كل مكان حمل القوس ورمي السهم  
وقذف الرمح..

ومع أنها تعشق بعلها لكنها لا تخضع له أبداً، بل ترفع أنفها بشموخ..  
وما تفتأ تُذكره دوماً ودون كللٍ بأنها من بحثت عنه وأعادته من  
الموت إلى الحياة في كل عام..

ثم تأمر ذات الدرع والرمح عابداً بالاستقلال والاعتماد على النفس  
ونبذ المهام المنزلية وبرفض الاستكانة للرجال قائلةً:

- ولتكن بناقي مثلي أرواحاً حرةً كأبقارٍ برية..  
- وعلى العكس تماماً من أمنا عشيرات لتتحدين الرجال وتتعلمن  
الرياضة وركوب الخيل وتلبسن جلود الحيوانات..  
ثم تتابع عاقدةً جبينها:

- لستن في حاجة للرجال أبداً، ولكن مثل عشيرات لتنسجن  
بأيديكن ملابسكن..



ولشدة عشق النسوة للعدراء الأبدية وخشية الرجال منها بلغت ربتنا  
في حياتنا مكانةً عظيمةً، حتى نسي الناس أن لها توأماً مسالماً غير ذي شأن  
هي الربة (ميرا)..

وكلما حلت على الأرض الحربُ صاح الناس في ذعرٍ:

- لقد حل علينا رعب الربة وضربتنا يدها..

ياربخ ونكالك  
أعراس القمر والبساتين  
قصة الحب الأزلي..

لكن أجمال الإخوة السبعة والسبعين من نسل إيل وعشيرات هو رب  
القمر (ياربخ)..

كان (ياربخ) البهئ المبهر شديد الشحب والضياء، ولا يمكن لكل  
من يراه ألا يشهب ويتنهد..

لقد شغلت يا (ياربخ) بحسبك وابتسامتك وحنان روحك قلوب  
العدارى، حتى أطلقن عليك لقب (مصباح السماء) لجمالك ونورك..

فحين تطل علينا مبتسماً في كبد الليل ناظراً إلينا تنير بضياك النجمات  
فتكشف لنا ما في السماوات، وهكذا دعوناك كذلك (بكشف النجمات)..

وأما حين تضطجع متعباً يبدو لنا نصفك فقط كاهلال، وأذاك ندعوك  
(بالرب المنجل)..

الآلهة وحدها تعلم ما يفعل الرب الهلالي كل ليلة مديراً ظهره للبشر!  
إنه لا بد يعانق عشيقته المفضلة نيكال مخفياً إياها عن العيون..

وحين يستبد به الشوق يوماً يرسل لأعظم ملوك الأرض رسالة مفادها:

- فلتجعل أيها الملك (نيكال) الفتاة الجميلة زوجةً لي، ولتدخل قصري  
وتعيش فيه بين ذراعي.. لسوف أحرث أيها الملك حقلها، وأحيل  
بستانها دالية عنب..

وإذ لا يأتيه الرد لا ييأس العاشق:

- ولأبيها - إن أجاب طلبي - أمنح كرمةً وحقولاً، ومهرها يكون  
ألف وزنة فضةً وعشرة آلاف وزنة ذهباً وجواهر لا تحصى..  
هنا يجيبه الملك خائفاً:

- لقد سمعتُ أيها الرب البهي أن بنات بعل الأربع واقعاتٍ جميعاً في  
غرامك.. (بدراري) يا سيدي ابنة الضياء تهديك سلامها..  
يجيب مصباح السماء:

- لكن (بدرار) هي حبيبة أخي عشر! عجباً!  
- وأما (طلا) سيدة المطر فتبكي شوقاً إليك، و(أرصاي) ربة الأرض  
ابنته من البراري فتفتح لك ذراعيها..  
ثم يتابع الملك مراوغته:

- وأما ابنة بعل الصغرى (يبرُدماي) الحسناء العذراء فقد نذرت  
نفسها لك وحدك، هي التي تذوب لها قلوب أقسى الرجال..  
هنا يجيبه (يارينخ) بشجاعة:

- أنت تخشى بعل إذاً ولا تخشاني؟ وأما بناتك: الطل والأرض والماء البارد  
فلا رغبة لي أبداً بأي منهن... زوجني نيكال فعليها وحدها وقع اختياري..

وحين يصر الملك المدعور من غضب بعل على الرفض لا يبأس العاشق  
ويغريه قائلاً:

- إن زوجتنيها محوتُ معها كل ذنوبي وآثامي الماضية، وجعلت ابنة  
موطنك ربةً للبساتين وإلهةً للثمار وما هي من نسل عشيرات..

- لكن الثمار يا سيدي تنضج ثم تسقط مع نهاية الموسم، فلا بقاء لها  
معك أذاً..

- أقبل ذاك وهو ناموس الحياة، على أن تعود الثمرة لي أنا مع بداية  
الموسم الجديد..

وهكذا يلينُ قلبُ الملك للعاشق الملح، ويتوسط له عند والد الحسناء  
نيكال..

## (كوثرات)

### وأغنية الزفاف..

آن أوان الزفاف..

أخيراً يعقد زفاف الرب العاطفي على الحسناء العاشقة..

وفي بيت أبيها يفاجأ العروسان بأن إختوها والوالدين قد جلبا مئة من الميازين ليتأكدوا من ألف الفضة وعشرة آلاف الذهب!

ومنهم جميعاً يضحك العروسان الجميلان.

ثم يهناً ياريخ ونيكال بزواجٍ أبدي لا تنفصم عراه أبداً..

برطوبة الرب الحنون وضيائه الناعم تنمو ثمار ربة البساتين والفاكهة حتى تغدو جميع الثمار الناضجة مدورة مفلطحة مثل وجهه تماماً..

ويغني عباد رب القمر في معابده له ولحييته ولا سيما مدينته ياريخو (أريحا):

- أي نيكال الخصبية، يا من غنينا لاسمك، فليسطع نور الرب ياريخ، وفوقك ليشع بضيائه الحنون..

وإذ يغدو زواجها مثلاً للنجاح ويشمر عن مئات من الأطفال والبنات تصبح الصلوات لهما منذ ذلك الوقت هي الأغاني في كل زفاف، فمن ذا الذي لا يشتهي زواجا كزواج العاشقين..

يغني لهما الشاعر في كل عرسٍ على نغم الكنارة:

- ليحيل ربُّ القمر مخدَعَ العروسين حقلًا خصبًا، وليجعل لهما مثله  
أطفالاً كثيرين..

وقد دعي نسلُ ياريخ ونيكال (كثيرات / كوثرات)..

وتبدت هاتيك الربات الصغيرات على شكل سنونواتٍ بيضاء جميلة  
بأجنحةٍ زرقاء..

ثم غدت (كثيرات - كوثرات) ربات القبالة، إذ حرسن ولادة الأطفال  
ورفرن بأجنحتهن الصغيرة خارج نافذة كل حاملٍ حتى يحمين الأم والوليد  
من كل شر..

وهكذا تضرع كل عروسين لياربخ أن يمنحها أطفالاً أكثرًا مثل كثيرات.  
وإذ تغدو المرأة حاملاً ويقترب أوانُ وضعها تقدّم الهدايا للزوجين الإلهيين  
حتى تراعي السنونوات ولادتها وتهبط الطيور البيضاء في تلك الليلة العصبية  
حاملاتٍ المراهم والطيوب لآلامها وجروحها..

وهكذا ترتل كلُّ أنثى شابة في سرها صلاةً يومية طيلة شبابها:

- أعطني يا نيكال ما أعطيت.. بحبك وزواجك وحملك ويسر ولادتك..

## محنة الكوثرات..

وإذ علم بعل الأعلى (عليان بعل) برفض ياربخ القطعي الزواج من أي من بناته شعر بالمهانة وغضب غضباً عظيماً..

صرخ حدد الثور المهان مخنقاً، ثم سلط وحوشاً عظيمةً لتهاجم قصر ياربخ ونيكال..

وهكذا هاجمت تلك المخلوقات المرعبة القصر ثم بدأت بالتهام بعض من وصيفات القصر.

ثم إنها التهمت كذلك بعضاً من بناته الكوثرات<sup>(١)</sup>..

هنا تدخل الوصيفات والبنات على إيل ويصحن متضرعات:

- أغثنا يا رب السماوات من غضب ابنك بعل!

كان الرب قد اعتاد على سوء تصرف بعض الآلهة، وهكذا ضحك حين سمع محنة الكوثرات فارتجفت لحيته البيضاء الطويلة..

فكر برهةً ثم سأل وقد علم كعاداته بكل شيء:

- وهل حملتُنَّ من وحوش بعل؟

---

(١) إشارة إلى الأمراض والآفات التي تصيب الثمار.

تضرجت الوصيفات والبنات حجباً وتساءلن كيف عرف الأب بما  
حدث..

لم تجرؤ إحداهن على الجواب، فأكمل إيل قائلاً:  
- فلتمضين إذاً بعيداً إلى الصحراء، ولتضعن أطفالكن هناك..  
أطاعت الكوثرات والخادמות، فرحلن إلى البرية كارهات..  
هناك بكين غير فاهماتٍ الهدف من نصيحة رب السماوات، لكن الأعلى  
يطأغُ دون سؤال..

في الصحراء كانت المفاجأة إذ ولدن جميعهن مخلوقاتٍ عجيبة: وعولاً  
وغزلاناً مجنحةً رشيقة ذات قرون..  
هناك فتحت الكوثرات عيونهن غير مصدقات..

- يا لحكمة رب السماوات.. لقد خلقت الوعول والغزلان للبراري لا للقصور.  
لنمض من هنا سريعاً أيتها الوصيفات..

حين رأى بعل من السماوات ما وضعت الكوثرات جن جنونه بهذه  
المخلوقات العجيبة ذات القرون إذ كان السيد مغرمًا بالصيد ومطاردة  
الوحوش البرية..

- ما أروع هذه المخلوقات المجنحة.. إن قوسي ورمحي تشتاق إليها..  
وهكذا ترك بعل عرشه بين الغيوم وهبط إلى الأرض حاملاً قوسه  
ورماحه، وانشغل زمناً طويلاً باصطياد هذه القطعان البرية تعويضاً عن  
إهانة ياريخ ونيكال له..



وهكذا نعم الزوجان السماويان وبناتهما بحياةٍ هائلةٍ طويلة، في غفلة رب العاصفة..

غير أن بعل وخلال إحدى مطارداته المحمومة وقع مرةً داخل مستنقعٍ عميقٍ من الوحل..

زجر سيد الحياة مسمئزاً، وحاول انتشارال نفسه من المستنقع الموحل، لكنه لم يقدر!..

حاول مراراً الخلاص والنهوض ورغم جبروته لم يقدر..

ثم طلب السيد العون، ولكن لم يسمعه أحد..

وهكذا بقي بعل عالقاً هناك سبعة أعوامٍ كاملة!

ما كان أتعسنا لغياب رب العواصف سبعة أعوام، فعلى الأرض عم القحط وأما الناس فقد ضربتهم المجاعة وهاموا على وجوههم باحثين عن المراعي..

هكذا إذاً سيعم الجفاف والمحل كلما انهمك سيد الحياة بإحدى مغامراته المستهترّة!.. فويلٌ لنا.

وقد ولد جيلٌ جديدٌ لا يعرف شكل المطر ولا الصواعق، ونسي الناس شكل المروج الخضراء وقطعان الماشية..

واستمرت الكارثة زمناً إلى أن انتبهت العائلة الإلهية إلى غياب سيد الأرض، وأرسلت رسلاً وجيوشاً بحثوا عنه طويلاً إلى أن عثروا عليه وأنقذوا الملك المهان من الوحل..

عند نهاية القحط والمحل احتفل الناس بعودة الحياة، وبكوا في المعابد  
فرحاً..

منذ ذلك اليوم علم البشر أن سبب كل جفافٍ طويل هو بعل العالق  
في مستنقعٍ موحل خلال قيامه بصيد الوحوش في البراري..  
وأما بعل ذاته فقد تعلم درساً لن ينساه ولم يكرر نوبات غضبه وحقده  
ثانيةً إلا فيما ندر..

## الرب دَجْن

وحدها في قصرها تتابع سيدتنا عشيرات حياتها كأم للأرباب، حيث لا تعيش في ظل رب السماوات إيل بل تُسِيرُ مقادير كل شيء بحنكتها وصبرها وتغزل على مغزها أقدارنا..

تتوسط عشيراتُ لهذا عند إيل وترسل لذاك رسلاً، وتعين الآلهة في مناصبهم، وتختار من يخلفهم عند الحاجة و الرب الأعلى خالق كل شيء بعيداً عنا..

تخاطب أمنا الكبرى خادمها وصيادها (قدشو) كئيبةً شاكيةً:

- لقد بات زوجي سكيراً ثملاً معظم الوقت، وهو ينام أغلب يومه..  
ولهذا غضبتُ منه وأقمت بمفردي ها هنا إلى جانب البحر.. وإلى جانبك يا قدشو العزيز..

يوميء صاحب الشبكة بفهم عميق لسيدته وهو يسمع للمرة الألف شكواها.

تربت إيلات على اللبوة الجاثية بجانبها وتكمل بفخر كلامها:

- أنا من أحفظُ أسماء أبنائي السبعة والسبعين وأرعى حياتهم و حياة أطفالهم وأولهم التوأم شاهار وشاليم (الفجر والغسق)، بعكس أيهم الطاعن في السن والذي نسي وجود أغلبهم!

اقتحم عليها إيل إله السماوات قصرها يوماً وراح يؤنبها:

- ماذا فعلتِ يا إيلات وأي ذنب ارتكبت؟.. لقد حرصتِ بهجرِك  
لإيل الألسنة الطويلة ومنحتِ للإشاعات وقوداً..

- ولكنك من انصرف عني زمناً يا زوجي إلى زوجاتك الأخريات  
وخمرك ونومك الطويل حتى ما عدت تراني.. وقد أعطيتك من  
الأطفال الآلهة ما يكفي لأعبر عن حبي وإجلالي..

- لكنك منحتِ كذلك أطفالاً لغيري! فما أنا بوالد حورون، وكما  
يتهامس كثيرون فلستُ والداً لبعل..

هنا يخرج الصياد قدشو من المكان مغطياً وجهه بيديه لسماع الخلاف  
الأزلي، بينما تنهد أمنا الكبرى قائلة:

- أنت ما تفتأ تردد القصة القديمة ذاتها وعلى مسمع من الجميع!..  
عد إلى منزلك في السماوات يا زوجي.. وليرعاك هناك ابننا (شنوم)  
خير رعاية..

وبعد خروج زوجها مضطرباً ومحرجاً قصت أمنا على أليفها قدشو  
الصياد قصتها مع والد بعل الإله داغون..

- يوماً من الأيام خرجتُ كالعاصفة من القصر في ثورة غضبي من  
إيل، ورحت أسافر بين مدن عموري (سوريا الداخلية).. وحين بلغتُ  
إيبلا العظيمة لاحظتُ أن سكانها قد دعوا أحد بواباتها وأكبر أحيائها  
باسم الإله داجون، فضربني الفضول لأرى هذا الرجل الغامض  
والذي عشقه أهل أمور وفضلوه على زوجي!..

- وقد ادعى بعضهم أنه شقيق إيل .. (قال قدشو) ..

- هنا دعاني ملكُ إيبلا المشهور بكرمه إلى معبد داجون وقد أسموه بيت  
النجمة .. ثم قال لي وقد رأى فضولي (في مدن الفرات تجدين إلنا المعلم  
رب مدن توتول وترقا وماري وقد تسمى باسمه الملوك والمدن) ..

وهكذا سافرتُ على جناحٍ من الفضول إلى مدن أمور حيث وجدتُ  
لدجنُ معابد كثيرةً في إشدود وترقا وتوتول وماري وإيهار وغزة ..

وهناك على إحدى ضفتي الفرات العظيم وقعت عيناى عليه بين ناس  
عموري (الأموريين)، ومن اللحظة الأولى خفق قلبي بحبٍ عنيفٍ له ..

وقف الإلهُ عظيمُ البنيان شديدُ الوسامة بين الناس يعلمهم الزراعة ..

كان شعبُ عمور قد رآه للمرة الأولى داخلًا عليهم وحاملًا أولى  
هداياهم (المحراث) ..

حين استمع العباد لتعليقاته ونفذوها بحذافيرها أهداهم داجون أعظم  
هديةً أُهديت للبشر .. القمح، ومنه صنعوا الخبز .. وهكذا سمي حبيبي برب  
القمح ..

انتبه صاحب الشبكة لأن سيده دعت داغون بالحبيب فاحمر وجهه  
خجلاً .. تابعت عشيرات سرد ذكرياتها:

- كان داجون القوي شديد الرشاقة يقفز في الماء، ويسبح من مدينةٍ  
لأخرى .. وهكذا حتى نما له ذيلٌ سمكة ..

حين رأى ملوكُ المدن كيف طاردته بلا كلل حذروني قائلين:

- إن لداجون قرينةً شرسة، فاحترسي أيتها الأم ..

لكن تحذيراتهم وقعت على آذانٍ صماء.. رحت أفكر:

- كيف لربة الخصوبة أن لا تغوي رب الخصب؟..

وقد كان ما كان..

حين وقعت علي عيناه الكحيلتان علم أن لا مهرب له من امرأةٍ هي  
النساءً جميعاً..

وقع العظيم داجون في غرامي وعشنا سويةً زمناً أجمل قصة حب..

وقد أنجبتُ منه أعظم أبنائي على الإطلاق (بعل)..

حين انتهت حياتنا معاً قلت له مودعةً دامعةً العينين:

- لتبقِ هاهنا يا رب القمح حيث يحتاجك بشر النهر وقد علمتهم الزراعة..

تنهد العظيم في أسى مستمعاً:

- وأما أنا فعائدةٌ إلى حيث ينتظر الناسُ المطرَ على شاطئ البحر

والجبل حيث ليس ثمة نهر..

ضحك الرب ضحكته الجذابة قائلاً:

- ابنكِ حدد هذا بين ذراعيكِ سَيُعِينُ يوماً أهل الجبل والبحر على

الزراعة وإنتاج قوت يومهم..

## عشيرات سيدة البحار

وهكذا استقرت سيدتنا على شواطئ البحر حتى دعيت بالماشية على الماء وسيدة البحار..

ويذكر السوريون كما يعلم جميع الأرباب قصة سيدة البحار المسكوت عنها ولكن المعلومة للجميع.. تلك القصة التي غيرت حياتنا إلى الأبد.. وقعت ربة الحب والخصوبة مرة في غمرة يأسها وحرمانها من الحب في غرام شابٍ وسيمٍ سراً..

ثم إنها حملت من الشاب طفلاً (وما هو ياله).

ثم شعرت بالرعب والخجل، إذ تحمل الربة الأولى وأم الأرباب سفاحاً ببشرٍ فان!

وفي ذروة عارها ويأسها رمت اللات بنفسها إلى مياه الفرات قرب منبع محاولة إنهاء حياتها وحياة رضيعتها التي كانت بين ذراعيها..

غير أن سمكتين كبيرتين مباركتين انقضتا على الجسدين الغضين البائسين وابتلعتهما، ثم حملتهما زمناً في جوفيهما الكبيرين..

ثم رفعت السمكتان جسدي المرأتين إلى سطح الماء حيث لفظتاها.. وهكذا كبرت الطفلة المسكينة والتي نشأت في جوف سمكة لتغدو ملكة المدينة..

وأما عشيرات التي كانت غائبةً عن الوعي فقد خرجت من الماء عاريةً  
تماماً ومكتنزةً كامرأةٍ حبلى ..

حين صحت فوجئت الربة بأن لها ذيلٌ سمكةٍ محرشفٍ طويلٍ ذهبي من  
طول ما عاشت داخل السمكة و تغذت من غذائها..

حين عادت أمنا لرشدها ورأت ذيلها وجسدها المحرشف ضربت وجهها  
وصاحت بخجلٍ من فعلتها:

- ويلى.. ماذا فعلتُ بنفسي؟ وكيف قفزتُ هكذا كالمجنونة إلى المياه  
الهائجة السوداء؟..

لقد أوشكتُ على قتل طفلي المسكينة وقتل ذاتي، وكدتُ أبتلي جميع  
أطفالي باليتم الأبدى!

ثم إنها بحثت بصيرٍ وأناةٍ عن الأسماك العملاقة التي أنقذتها وطفلتها،  
وحين عثرت عليها شكرتها من قلبها..

ثم إنها رفعت تلك الأسماك إلى السماء، وجعلتها أبراجاً ونجوماً خالدةً  
أبد الأبدين..

ثم قررت ممتنةً:

- كما جعل ياريخ من مدينة يارنخو (أريحا) مدينةً مقدسةً له أجعل أنا  
من المدينة الطيبة (منبج) التي أنقذت بجانبها حياتي مدينةً مقدسةً  
للسوريين جميعاً..

وهكذا علم الناس جميعاً لم اضطرت ربنا لترك قصرها في السماوات  
والسكنى بجانب البحار والأنهار، ذلك أنها باتت تمتلك الآن ذيلًا طويلًا  
وما عاد بإمكانها المشي بل تعين عليها السباحة..



وحين زارها أبناءؤها وعبادها تعمدت إخفاءً ذيلها المحرشف المذهب  
بعنايةٍ تحتها..

وفي حياتها الجديدة ساعدها الصياد المقدس على رعاية مراكب  
الصيادين والبحارة، وبركتها وطيبة قلبها بلغوا بر الأمان رغم غضب يم  
ونوبات جنونه..

## الأسماك المقدسة..

ثم أمرتنا أم السوريين بحزمٍ قائلةً:

- من اليوم فصاعداً أحرم على شعبي أكل السمك، بل وحتى لمسّه إذ  
أجعله مقدساً..

وقد حزن شعبنا من سكان البحار والأنهار والبحيرات لذلك الحكم  
الصادم إذ كانت الأسماك قوتهم اليومي..

غير أنهم أطاعوا وأمر سيدة البحار بحبٍ صادق أصيل.  
وقد نَفَذُوا حتى اليوم رغبتها بورع، كما يطيعُ الأبناء بخشوعٍ رغبة  
أمهم التي تعلم خيرهم..

رفعت اللات إصبعها وأصدرت أوامرها:

- وفي كل مدينةٍ تقيمون لأمكم معبداً عظيماً تربون في باحاته الحمام،  
وتجعلون بوسطه بركة ماءٍ كبرى تعيش فيها أبداً أسماكٌ ملونة..

وتكون هذه الأسماك مقدسةً لا يلمسها مخلوق، ولا يشرف على  
غذائها ورعايتها إلا الخصيان..

وبوسط البركة هذه تقيمون مذبحاً عائماً يسبح له الخصيان مقدمين  
الأعطيات.

سأل الصياد سيده يوماً بفضول:

- ولم الخصيان فقط يا أم الأرباب؟..

تعقد عشيرات حاجبيها وتجب عن سؤال خادمها بسؤال:

- أبعء كل ما حل بي تسألني أيها الصياد؟ وكيف أسمح بعد اليوم

لرجل أن يقترب مني ومن قدس أقداسي؟..

ثم أمرت ربتنا الحصيفة:

- بل يرتدي أولئك الكهنة ثياب النساء حتى لا تقع في عشقهن النساء..

وهكذا ارتدى كهنة عشيرات في كل مكانٍ مطيعين أوامرها أثواباً

طويلةً بيضاء بأشرطةٍ قرمزية.

وفي عيد أمنا المقدس داروا مغمضي الأعين، ثم داروا و داروا دون نهايةٍ

وقد التوت أعناقهم، بينما ارتمى شعرهم الطويل ذات اليمين وذات الشمال..

وهكذا حتى إذا تملكتهن النسوة ارتموا تبعاً على الأرض فاقدى الوعي..

وكي يأكل أولئك الكهنة المهابون ركبوا كل يوم كالمساكين على بغالٍ

ووجوههم للخلف، وداروا ناديين حظهم متسولين طعامهم من العباد في

شوارع المدينة..

وهكذا فهم السوريون بغيريتهم وحفظوا معاني تلك المشاهد المؤثرة..

المؤمنون يدورون في نشوة كالمجانين بأرديتهم الطويلة حتى يقعوا

على الأرض مغشياً عليهم..

إن نشوة الربة إذاً قد حلت على صدورهم حتى أطاحت بالعقول..

وكلما وضع امرؤ قطعةً من النقد في يد متسول أطعم في قلبه عبداً

لأمنا الكبرى..

## الشجرة المقدسة

وهكذا جعلنا لسيدتنا معابد في طول البلاد وعرضها.  
وفي كل معبدٍ منها حفرنا خندقاً عميقاً..  
لهذا الخندق سيحج السوريون حاملين الماء من النهر لملئه كي لا يجف  
أبد الدهر، وتحيا فيه أسماكه ومذبحه العائم..  
حذرتنا ربتنا رافعةً إصبعها:  
- إياكم أن يجف ماء البركة في معبدي أبداً وإلا نفذ حظكم وسعادتكم..  
- على باب المعبد تذبحون الحملان وتضعون أقدامها فوق الرؤوس  
وتعدون الربة كل مرةً بذبيحةٍ أكبر..  
- وأما الحاجات من النسوة فتحلقن الرؤوس، ومن لم ترغب منهن  
بحلق رأسها تعرض نفسها في المعبد يوماً كاملاً من الصباح وحتى  
الصباح التالي تهب خلاله نفسها للغريب..  
- كونوا أتقياء يا أبنائي وأحبوا أمكم وضحوا من أجلها..  
ثم إننا زرعنا شجرةً مقدسةً وارفة الظلال وسط كل حقلٍ فسيحٍ  
عبدنا تحتها ربتنا في سلامٍ وطمأنينة..  
وإلى أبد الأبدين سيعلّم أبناء الأرض كلما زاروا شجرةً منفردةً ظليلةً  
أن روح الأم تسكنها، وأن أمانةً فيها طالما خشبُ الشجرة حي..  
-١١٦-

سأل الكهنة ربتهم:

- ولكن كيف يأخذ عبادك الصالحون الشجرة المقدسة إلى بيوتهم  
ومعابدهم كي يعبدوك؟ إذ لا يعيش أغلبهم في الحقول أو الغابات  
أو على التلال؟..

- حتى لا يفارق أبناي أمهم لحظةً واحدةً يقيمون لي عموداً خشبياً  
مصنوعاً من جذوع الأشجار يسمونه عمود عشيرة.

ولينقش عليه السوريون الأغصان وأوراق الأشجار ويحفروا عليه  
وجهي المقدس، وليقيموه بجانب كل بيت وفي حرم كل معبد وفي زاوية كل  
مخدع حتى لا ينسوا أبداً أمهم المقدسة مهماً مر الوقت وتغيرت الأزمان..

- انحنوا لأعمدة عشيرة يا أبناي وأجلوها، ولترقص حولها النسوة  
ممسكاتٍ خشبها ما استطعن.

- يوماً من الأيام سيأتي أعداؤكم غزاةً لهذه الأرض، وسيكون أول ما  
يفعله أولئك الحاقدون لتدميركم وإفنائكم هو قطع تلك الأعمدة النحيلة  
بالفأس وإلقاء خشبها في النار حتى أحمى من ذاكرتكم..

- لكن هيهاتٍ فأنا في قلوبكم حيّةٌ كالرمز إلى أبد الأبدين..

فازرعوا إن استطعتم أمام كل بيتٍ شجري المقدسة وإن خفتهم من  
الأعداء فاحفظوا عمودي سرّاً داخل كل مخدع وفي كل قلبٍ، أمامه تنحنون  
في خشوعٍ لأمكم التي ترعاكم في حبٍ لأبد الأبدين وتذرف الدموع  
لأجلكم في شفقة..

على تلك الأنصاب العملاقة نَحْتُنَا أَمْنَا الواقفة فوق اللبوة وحاملة  
الزهرة والأفعى وركعنا أمامها صائحين في حنان:

- لكِ منا السلام يا ذات المغزل والحمامة، لكِ أنتِ نصلي دون كلِّ  
لأنك كجميع الأمهات الطيبات تجيبين دوماً دعاء السائلين.

## شاهار وشاليم الفجر والغسق (الإلهان الرقيقان)

بعد نومٍ عميقٍ يفتح ربُّ الفجر (شاهار) عينيه، فيبدو وجهه المضيء  
شديد الجمال لآسيما حين يبتسم برضا كالأطفال.  
وفيما يستيقظ شاهار يغرق توأمه شاليم (رب الغسق) في الآن ذاته في  
نومٍ عميق، إذ لا يصحو الشقيقان معاً أبداً..

كان ربُّ السماوات إيل قد أنجب بكره شاهار وشاليم في عز شبابه  
حين أبصر على الشاطئ الحسناوين (عشيرات) و(رحم) بشفاه كالرمان..  
بزواجه المقدس منها هزم إيل الموت وأعطانا الحياة بإنجابه لإلهي  
اليوم وقوتي الحياة الهائلتين...

كرضيعين أذهل كلٌّ منهما أمه بشرأته التي لا تشبع ولا توصف..  
رضع شاهار من ثدي أمه طيلة اليوم حتى نفذ حليبها!  
ومن ثدي أمه رضع شاليم الأسمر طيلة الليل..  
ثم صاحت عشيرات ورحماي من شدة الإرهاق والخوف والألم..  
لم تكن المرأتان قد أنجبتا أطفالاً من قبل فسألت إحداهما في حيرة:  
- ما العمل يا إيلاي؟.. إبنك لا يشبعان أبداً..

قالت الأخرى:

- حالما يستيقظ أحدهما يفتح فمه بشراهةٍ مرعبة ليلتهم كل ما تقع عليه عيناه!..

يجيبهما إيل الحكيم وقد أسقط في يده:

- أطلقاهما إذاً إلى البراري البعيدة، وليكن كل ما في هذا الكون طعاماً لهما..

وهكذا يمضي الربان الصالحان الرقيقان الشفافان كغلاطين من نور وسط دموع أميها..

ثم يبلغان بوابة العالم الجديد البكر الذي خلقه الرب، و خلف البوابة تقبّعُ الحقولُ المبذورة والتلال والخيرات..

هناك يقف الإلهان أمام حراس البوابة طويلاً متضرعين أن يُسمح لهما بالدخول..

وبعد أن يرق قلب حراس العالم الخالي للطفلين الجائعين الباكين يدخل الإلهان داخل هذا العالم فيفتح شاهار فمه واضعاً شفة على السماء وشفةً أخرى في أعماق الأرض بنهم لا يشبع..

وهكذا يفعل حتى يغمر الضياء كل شيءٍ حي..

بفضل الإله النهم ذي الوجه المنير الشاحب ثمة في هذا العالم الموحد ضياءً..

ثم تمضي شمش المقدسة بينهما في رحلة النهار الطويلة إلى الليل..



وعند ذاك يفتح شاليم رب الغروب والغسق عينيه الداكتين فجأة.  
ويشرع الجائع بلا حدود في تناول كل ما يراه أمامه بشراهةٍ، حتى يغمر  
الظلامُ عالمنا فيغدو بحراً من الظلال الداكنة..  
شكراً لرب السلام والسكينة شاليم (سالم) ففضله نرتاح ونسكن،  
ويملاً قلوبنا السلام والطمأنينة..  
وباسمه الكريم سمينا إحدى أجمل مدائننا (أوروشاليم) أو مدينة  
شاليم.. أور السلام...

## شمس

### شعلة السماوات الساطعة..

من بين أرباب الفلك الخمسة الساطعين أبدأ في كبد السماء عشتار (نجم الصباح ورب الزهرة) وشاهار وشاليم (الفجر والغسق) وياروخ (القمر) تحتل ربتنا شمش (شيش) مكاناً خاصاً في حياتنا وقلوبنا..

لقد أمر ربُّ السماوات ابنته الكبرى بأن تتصدر منذ فجر الخليقة وسطَ السماء.

أمرها أن تراقب بعينين مفتوحتين أبدأً كل ما يحدث على الأرض دون استثناء..

ليس ثمة أسرارٍ تختبئ أبدأً بعيداً عن عينيها الثاقبتين طيلة النهار..

ترسل شيش لنا خصلات شعرها الصفراء على شكل أشعةٍ ساطعة لتضيء بها حياتنا وأرضنا، وتكشف لنا كذلك كل ما خفي عنّا..

يخاطب إيلاي ابنته الساطعة على الدوام:

- وتحكمين بخصلات شعركِ حرارة الأرض، وفي ضفائركِ الصفراء تكمنُ قوتكِ وقدراتك..

ثم رفع الحكيم إصبعه محذراً:

- ومرة كل عام تقصين يا شمس خصلات شعرك الذهبية الطويلة،  
ويشحب وجهك فتغدو الأرض باردة شاحبة كالصقيع طيلة الشتاء..  
وقد فرحت شمس بمكانتها أي فرح، ومارست كل يوم باقتدار ألعابها  
التي لا تنتهي، إذ أشرقت كل صباح ومزقت ستائر الظلام التي هربت من  
وطأة حرارتها المحرقة.

وعند ذلك تبدأ رحلتها الطويلة فوق عربة مذهبة تجرها الخيول..  
تبتسم لنا السخية كل يوم بوجهها المدور كالقرص دون أن تخطئ مرة  
موعداً فاردة فوقنا شعرها الطويل فتمنح الصحة للعليل وتلاحقها بولع  
وشغف رؤوس الأزهار والثمار حيثما حلت..  
وقد عرفت الربة بشمس الحق مطبقة العدالة الإلهية وكتابة القوانين..  
وهكذا حكمت بين الأرباب، وتوسطت كلما وقعت الخصومة إذ رأت الحق  
على الفور وعرفته بسطوع بصيرتها..

وهكذا كتبت لأهل بابل القوانين وسلمتها لهم منقوشة على نصب كبير..  
سألت شمس يوماً أبا السنين ذا اللحية الرمادية:

- أخبرني يا إيلاي.. فلئن أشرقت كل نهار على الأرض وفصلت بين  
المتخاصمين في دور الحكم ما عساي أفعل كل ليلة وإلى أين أمضي؟..  
- تحرسين يا ابنتي طيلة الليل أرواح الموتى التائهة في العالم السفلي في  
ضيافة أخيك موت..

وهكذا فهم أهل الأرض أين تقضي شمس بالضبط نصف أوقاتها..

وقد تأكد لهم ذلك حين بحثت كالمجنونة يوماً عن جثة أخيها بعل في  
ظلام العالم السفلي حتى عثرت عليه نزولاً عند رغبة عنات..  
لولاك أيتها الساطعة ما كان لأرضنا سيد إذ أعدته إلينا، ولا كان  
لعالمنا ملكٌ جبارٌ يقودها..  
مباركة أنتِ يا شعلة السماوات وصانعة الشرائع..

## الأخوان الماهران

### كوثار وكينار

تبارك الإخوان الماهران: الإله (حدد) كوتاد ورب الموسيقى كينار  
فلولاهما لما تغيرت حياتنا وتطورت.

منذ طفولته أذهل الطفل كوثار خسيس والديه إيل وعشيرات بذكائه  
وابتكاراته.

قبل ولادة الإله الصانع كانت النار شراً تخشاه الآلهة والبشر، لكنه أذهل  
إيل يوماً بأن روض النار واستعملها للطهو وأعمال الحدادة وكي الجروح!

ثم رآه إخوته بعد أن كبر فتياً حاملاً بيده مطرقةً صنعها بيديه وراح  
يطرق بها المعادن المختلفة على النار ليصنع منها الرماح والسيوف والتي جنت  
بها أخته عنات.

منذ ذلك اليوم دعاه إخوته بحداد الآلهة..

ومن تلك الأسلحة التي صنعها أهدى كوثار أخاه المفضل بعل سلاحيه  
(عصاتيه) واللتين حقق بهما انتصاره الناجز على يم إله البحر فغير بهما مصير  
السموات والعالم.

ثم لم تصدق أمه عشيرات عينيها حين خاط لها رداءً من جلد الحيوانات،  
هي التي كانت على الدوام عارية..

منذ ذلك اليوم راح يخصصها بأثمن الهدايا لا سيما المقاعد والمناضد الموشاة بالذهب والفضة حتى ما عادت ترفض له طلباً.. لقد عرف كوثر كيف يكسب بالهدايا قلبَ المرأة أول مرة.

وقد كبر كوثر ونضج بسرعة ونمت لحيته الكثة ثم احدوب ظهره، لكنه لم يتوقف يوماً عن إبداعاته العبقريّة حتى أعطى اسمه للكثرة والتكاثر والصنع فاخترع لنا السفن ورعا البحارة وبنى لنفسه في قبرص قصرًا ثم إنه اكتشف المعادن والحجارة الكريمة والحلي...

ومن الطوب كان أول من أعلى جدراناً فدعونه بالبناء، فبنى للسيد بعل قصرًا جدرانه شاهقة كساها من أرز جبال شرين (سريون)، وفتح في القصر نوافذ هطلت منها أمطاره منعماً على عالمنا بالخصب والزراعة وهكذا دعونه بالفتاح (بتاح)..

ولكن كوثر نفسه فضل أن يعيش في خيمة، فيا للعجب!

ثم أهدى الحاذق الماهر للبشرية أثمن هداياه.. هديةً كنز لا يقدر بثمن إذ علّمنا الكتابة وصنع الحروف..

ومن شدة براعته توافد عليه إخوته يطلبون منه الهدايا والسلاح والأثاث، فتذمر من شدة إلحاحهم..

وحين أتت إليه أخته عنات تطلب قوساً يشبه قوس أقهات رفض قائلاً:

- هدية الإله للبطل لا تقدم للآخرين أيّاً كانوا..

ولشدة انهماك في العمل المرهق اختار إلها الصانع أحد إخوته الصغار (الإله كينار) ليخصه بأسراره ويساعده في الصناعة..

كان كينار هذا شاباً وسيماً فرحاً مبهوراً أي انبهارٍ بأخيه الأكبر فلازمه ليتعلم منه سحره.

ومنذ ذلك الوقت ما عاد الشقيقان يشاهدان إلا معاً..

خاطب كوئثار يوماً أخاه كينار:

- من الآن فصاعداً أوكل إليك مهمة صنع الآلات الموسيقية وأنت شغوف بها..

وللأرباب يغني بها الناس في المعابد، وترافق من الآن وصاعداً الموسيقي حياتهم واحتفالاتهم في كل آن وتروّح عنهم وتسعدهم..

ثم أعطاه هديةً عجيبةً!.. مد يده بصندوقٍ مجوفٍ من الخشب امتدت بداخله أوتارٌ سبعة عزف عليها كوئثار بإصبعه أعذب الألحان:

- سأطلق إسمي على هذا الصندوق السحري (كوئثارا قيثارا)، ولكن أهبك إياه وغيره الكثير من الأدوات الموسيقية حتى تصبح من الآن فصاعداً يا كينار رب القيثارة..

تناول كينار الصندوق السحري ذا الصوت الساحر غير مصدقٍ عينيه، وقد جن به من الفرحة..

وقد عزف عليه كينار ألحاناً شجيةً عجيبةً كالساحر فغير بلمسته عليه شعور السامعين وبدل عواطفهم في لحظة من حالٍ إلى حال!

ومن ذلك اليوم المجيد ما عقد السوريون حفلاً ولا زفافاً إلا ورأوا إلههم الطروب كينار جالساً في إحدى الزوايا يعزف لهم ويطربهم..

ثم تعلموا منهم صنع الألمان وأمامه غنوا في المعابد.. وعلى أنغامه  
تزوجوا واحتفلوا، حتى بات ذكر اسمه أمام شعبنا باعثاً على البسمة والفرح  
والخيال..

التحيةُ كل التحية والإجلال لإلهينا الكريمين الماهرين كوثر وكينار،  
واللذين غيرا وبطرقٍ شتى حيواتنا مراتٍ عديدة وعلى مدى الأزمنة حتى ما  
عاد بإمكاننا التعرف عليها<sup>(١)</sup>..

---

(١) ملاحظة: في أماكن أخرى من هذا الكتاب المقدس الذي دونه الكاتب ايلي ملك بأمر من  
الملك نحماد ترد كذلك أسماء الآلهة حورون ورشف (الطاعون) وشغر وإثام وهرغاب  
وشمول وشنوم وردمان وبنات بعل الأربع.. وكذلك أسماء الرسل جُبن (خمر) وأوغار  
(حقل) ووقدشو (الصياد) وبيطان (خادم عنات).



السيفُ الخامس  
الملوك والربيون (الصالحون)

---



## الربيون / الرفائيون

### آلهة عالم الموتى

في العالم السفلي يسود الظلام الأزلي، ويجري نهر أرواح الموتى يحرسه عشر. هناك في العتمة يعيش الأجداد إلى أبد الأبدين بعد أن التهمهم موت..  
يقون أبداً هائمين على هيئة ظلالٍ وأرواحٍ، وتزورهم شبش في الليل كلما هبطت تحت الأفق..

- إلى أين تسافرين بعيداً أيتها الشمس الغاربة؟..

يسأل عباد الشمس ربتهم فتجيب:

- إن شعبي في الأسفل هو من الموتى من سكان العالم السفلي، ومن يحرسون ويرعون الأحفاد..

تقوم في العالم السفلي الظلال والأرواح من رقادها معاً، ويمشون أفواجاً كجيشين عظيمين تسيرهما الأقدار..

والصالحون فقط من أجدادنا ممن أطاعوا الرب ونشروا في الأرض حكمته يغدون من أولئك القدوسين، وعلى شعب العالم السفلي يغدون ملوكاً أبديين..

واسم أولئك الملوك المقدسين هو الربيون أو الرفايوم..

ومراراً يزور الربيون أفواجاً مجلس الآلهة..

يأتون إلى المجلس راكبين العربات، ويبحثون مع الأرباب أحوال  
الكون والبشر في ولائم سخية..

وتغدو للربيين سُلطةً على الآلهة، وكذلك تصبح لهم القدرة على شفاء  
الأحفاد لذا نجل موتانا ونطلب منهم المعونة.

ومن أولئك الربيين عرفنا (زكور) ملك حماة و(نقهاد) ملك أوغاريت،  
ومن ملوك دمشق ثمة (ريزون) و(حزيون) و(بن حدد الأول والثاني والثالث)  
و(رصين) الذي أعدمه ملك آشور.

في أحد الأيام دعا الإله دانال.. الرجل الرفي الصالح، دعا الأمراء  
إلى وليمة:

«وأسرع إليه آلهة العالم الأسفل».

«الجموا الأحصنة وأسرجوها».

«واعتلوا مركباتهم وانطلقوا».

«ساروا اليوم الأول والثاني».

«ووصلوا في اليوم الثالث بعد شروق الشمس».

«ادخلوا إلى بيتي يا أمراء.. وإلى هيكلي يا رفائين».

وقامت الإله عنات بالتحضير للوليمة:

«ذهبت للصيد واصطادت طيور السماء».

«وطبخت الأبقار والخرفان وذبحت الثيران».

«وزينت المائدة بالأغصان».

«في هذا اليوم سكب خمر معتق».

«خمر سرمانيه.. خمر بلد».

«في اليوم السادس أكل الرفثيون وشربوا الخمر الفاخرة...».

وفي مايي قصة دانييل أحد أولئك الأنبياء والصالحين:

## دانييل - الملك الصالح

من أكثر الملوك حكمةً وفضيلةً عاش في غابر الأزمان الملك الصالح دانييل..  
كان دانييل هذا شديد الورع والتقوى عابداً مخلصاً لبعل، وعلى اسمه  
أطعم الوجبات المقدسة كل ما استطاع..

وأثناء تلك الولايم الكبرى صدحت مغنيات المعبد بأغاني المديح للآلهة..  
على موائده قدم الملكُ الأعطيات لبعل من عسلٍ وزيتٍ ونسيج، وأمر  
الشعراء مراراً بتأليف القصائد لسيد الحياة..

وقد حكم دانييل شعبه بالعدل حتى ذاع صيته في جميع البلاد..  
وفي المحكمة أنصف الملكُ الأرااملَ والفقراء، ومن ماله الخاص رعى  
اليتامى والمساكين..

وحين مات الملك انضم لعائلة أرياب العالم السفلي فبات من (الربيين) من  
أرواح الأسلاف الصالحين وظلالهم المقدسة وغداً مقدساً شأنه شأن (زكور)  
و(ريزون) و(حيزون) و(بن حدد) و(رصين).

وقد كان لدانييل هذا ابنةً صالحةً مثله اسمها بُغات، ولكن لم يكن  
لديه ابنٌ ذكر، وذلك ما نغص على الملك الفاضل حياته..

ناجى الملك ربه دامع العينين:

- أيُّ بعلِّ حدد.. من يرعاني يا سيدي حين أغدو طاعناً في السن؟

تخاطب بُعات أباهَا باكيةً:

- ابتتك المحبَّةُ ترعاك يا أبتِي..

- الفتيات يتزوجن، ويرعين الزوج والأبناء وعائلة الزوج.. وأما أنا

فأموت هاهنا وحيداً مريضاً.. وحين تحين ساعتِي من يقيم طقوس

جنازتي؟.. ومن يرعى في هذه البلاد من بعدي عبادة الشديد بعل؟..

- إن كان لرب السماوات ابنه الإله شنوم يرعاه في مرضه وثلمه أكون

لك شنوم يا أبتِي حين تغدو طاعناً في السن..

- غداً يا بُعات يعتزل أبوك عن الناس في المعبد أسبوعاً كاملاً أو اظب

خلاله على ذبح الحيوانات وتقديم الطعام والشراب للرب كل يومٍ

حتى يخاطبني الإله في المنام..

وهكذا صعد الملك الصالح إلى حجرته الخاصة في المعبد واضعاً مئزره

جانباً واستلقى على الفراش..

ثم إنه واظب على الصلاة للرب ليلاً نهاراً أسبوعاً كاملاً..

في اليوم السابع أشفق بعل على بؤس الملك الصالح ودموعه فجلجل

صوته في السماوات:

- أيُّ أبتِي إيل يا من بيدك صنعت البشر من الطين.. لكم أشفق على

بؤس دانييل العادل والذي يمنح الأرباب كل يوم طعامهم

وشرابهم.. امنحه يا أبي الثور ابناً كجميع إخوته، وذريةً تخلفه كبقية

البشر.. شاباً يقويه يا خالق المخلوقات، يقف في قصره بدوره مضيفاً  
لآلهة أبيه، ومخرساً ألسنة شاتميه وشائثيه.. أعطه من يمسك كس نوم  
الراعي يد أبيه وقت الثمالة وفي المعبد يملأ وعاء نذره، ويطي سقف  
بيته في الفصل الموحد.. أعطه وريثاً يطلق روح أبيه حرةً في السماء  
ويحمي قبره من الغبار..

وهكذا استمر الملك الصالح في عزلته بالمعبد حتى رأى مناماً عجيباً، إذ  
تبدى له إيل رب السماوات بعينه الكحيلتين وعميقتين وقلنسوته الهائلة..

يخاطب الرب في المنام الملك الصالح:

- لك يا دانييل يكون ابنٌ عظيمٌ شجاعٌ يردك ويعبد بعد مماتك  
الأرباب بركةً من أبيك في السماوات..

فتح الملك عينيه مذعوراً وهو يفكر برسالة السماوات الغامضة..



## دانييل ودانائي

هنا ينهي الملك عزلته ويعود لقصره إذ رأى الرب في المنام.  
وفي القصر يضم زوجته الحسنة (دانائي) ويقبلها دون أن يخبرها بالرؤيا..  
«وأما هي فبحبقةٍ حمحت... وحبلت دون أن تخبر زوجها...».  
ثم إنه لا يقدر على نسيان حلمه الغريب في قدس أقداس المعبد ويصرح  
به زوجته..

حين تسمع (دانائي) بالحلم تجيبه مذهولاً:  
- نعم يا زوجي.. وكيف عرفت؟.. لم أشأ إخبارك قبل الآن كي لا تبكي  
ككل مرة يتبدد فيها الحلم..  
هنا يضيء وجه رجل الرب بالفرح العارم ويرتفع صوته:  
- حتى أنا أقدر على الاسترخاء في هناءة، وتسكن في صدري روعي  
بسلام إذ يكون لي كذي القربى ابناً كما وعد الرب..  
ثم يقيم دانييل وليمةً عظيمةً يتضرع خلالها لبنات الهلال ياربخ  
(كوثرات / كثيرات) حتى يحضرن المأدبة..  
- فليكن مولودي أيتها الربات يا سيدات الحكمة ذكراً..

من شدة كرمه ونقاء سريرته رجل الرب تقيم السنونوات البيضاء الجميلة  
ذوات الأجنحة الزرقاء في حجرات قصره المنيفة..

وتشرف الطيور البيض برعاية خاصة على اكتمال الحمل داخل رحم  
الملكة الصالحة (داناتاي)..

وهكذا يعدّ رجل الرب الأيام بنفاذ صبر.

وخلال شهرٍ طويلةٍ يذوق خلالها دانييل النوم لماماً، ونادراً ما يأكل  
الملئك الطعام..

ولكن الآلهة تزوره خفية حتى تتذوق على مواعده الكريمة من  
الأطعمة النفيسة..

بعد طول صبرٍ تُرزق زوجته داناتاي بطفلٍ ذكرٍ شديد الجمال مشرق الوجه  
كامل الصحة..

على سرير ولادتها تسأل الأم المتعبة مبتسمةً زوجها دون أن ترفع  
عينها عن الطفل:

- ما سندعو الطفل يا زوجي؟..

- سندعو أبا بُغات (أقهاث).. وسيكون لهذا الطفل شأنٌ عظيم  
ويغدو (أقهاث) يوماً بطلاً لشعبه..

## دانييل وكوثار

بعد مضي عدة أعوام كان دانييل ما يزال واقفاً على بوابة قصره يحكم بين المتخاصمين وينصف الأراامل واليتامى ..

ومن أعلى البوابة يبصر رجلُ الرب إله الصنعة الماهر (كوثار خسيس) يتسلل متخفياً بين المدعوين اليوميين وقد جذبتة رائحة الشواء ..

وقد عرفه الملك الحكيم من لحيته الكثيفة وظهره الأحدب ..

وهكذا يقفر الملك من على البوابة ويشد الضيف العظيم من ذراعه، ويقيم على شرفه مآدبةً عظمت لم يرَ أحدٌ أو يسمع بمثليها ..

يخاطب الملك دانائاي:

- لمذاق إلهنا الماهر حضري يا زوجتي حَمَلاً صغير السن طري اللحم،  
واسقه دم العنب من كؤوس الذهب.

وكي يعبر كوثار عن امتنانه الشديد بالمآدبة النفيسة يفاجئ مضيفه بهدية عجيبة، إذ يمنحه قوساً هائلةً من خشب الدردار كُسيّت بالحجارة الكريمة وكذلك رمحاً طويلاً ثاقباً عجيب الصنعة ..

يشكر دانييل بامتنانٍ رب الحرفة ..

ومن شدة حب الملك لطفله أقهات يقدم له بدوره هدية الرب قائلاً:

- فلتحتفظ يا عين أبيك بهذه الهدية المقدسة إذ لا يفرض مخلوقٌ بهدايا الرب..

- شكراً يا أبتى..

- وحين تكبر وتغدو شاباً تصطادُ بالقوس والرمح في كل يومٍ ذبيحة..

- وهكذا يكون يا والدي..

- ولكن عدني يا أقهات أن تقدم من كل ذبيحةٍ تصطادها جزءاً

للآلهة.. كذلك يا بني وعدتُ الرب..

- أعدك يا أبتى..

ثم تمضي السنون ويغدو الطفل الضعيف فارساً قوياً وجميلاً.. وتغرم

به جميعُ صبايا المملكة..

## أقهاث (١)

وعلى خطأ أبيه يتابع البطلُ أقهاث طقس إقامة الولايم السخية.  
وعلى تلك الولايم الملكية يدعو الآلهة للحضور، والتي كثيراً ما شوهدت  
في قصره ثملة!

وكان الحاضر الدائم لتلك الولايم الإله كينار (إله القيثارة)، والذي  
أبهر الحضور كل ليلة طيلة الحفل بألحانه الساحرة..  
ومن بين المدعوين يوماً كانت المحاربة عنات والتي كثيراً ما سلطت  
عينها الحادتين على القصر الفاره..

ثم إنها أبصرت مرةً بنظرها الثاقب قوسَ البطلِ أقهاث.  
كانت القوسُ تلتمع في الظلام مضيئةً بلألئها مياه البحر السوداء  
فاشتهتها الربة..

رمت أنات كأسها من يدها بغضبٍ وقالت بطمعٍ لا يشبع:  
- هذه القوسُ العجيبةُ جديرةٌ بالآلهة..

ثم لم تقدر العذراء أن تمنع نفسها عن الحسد والطمع:  
- أنا المحاربةُ التي خضتُ في الدماء حتى الركب وامتلكتُ من أنواع  
الأسلحة ما لا يُحصى لم أبصر في حياتي قوساً بهذا الجمال والصنعة  
الربانية فكيف لا تكون لي؟

وهكذا أبصر البطل بعد الوليمة في مخدعه الربة مطلةً فوق سريره فارعة  
الطول بخوذتها الفضية ودرعها الهائلة:

- أي أقهاثُ الوسيم.. أعطِ قوسك الربانية لربة القوس والرمح،  
وعوضاً عنها أمنحك وزنها ذهباً وفضة..

هنا يجيب البطل العنيدُ المقدام ربه دون ترددٍ ولا خوف:

- تلتمسين أيتها المهابة قوسي ونبالي؟ قوسي التي صنعت من شجر  
الدردار وأوتارها من الثيران البرية وقرونها من ماعز الجبال؟

- نعم أيها الفارس.

- لا أعطيك هدية أبي لي أبداً، إذ قدمها له عن طيبٍ خاطرٍ ربُّ  
الحرفة أخوكِ كوثر..

فتحت عنات عينيها غير مصدقة:

- ماذا قلت أيها البطل؟.. هل رفضت للتويا أقهاث إطاعة أوامر ربك؟..

هنا ابتسم أقهاثُ المقدام ساخراً:

- ما القوسُ يا مولاتي إلا للجنود، وما حاجةُ النسوةِ للسلاح  
يا عنات الجميلة؟..

- أما عرفتَ أنني ربةُ الحرب أيها الجاهل؟

- بلى يا سيدتي..

- وأنني بمثلها أصطادُ كل يومٍ صيداً عظيماً من جماجم الرجال؟..

- عليكِ إذاً بإله الحرفة يا سيدتي وهو أخوكِ.. أسأليه يصنع لكِ  
قوساً أفضل منها..

## أقهاث (٢)

يعلن ربُّ الحرفة بإصرارٍ رفضه لرجاءِ الربة:

- هديةُ الإله للبطل لا يُصنع مثلها لأيِّ كان..

وهكذا تتقلب عنات في فراشها كل ليلةٍ دون أن تقدر على التوقف

عن التفكير..

كانت قد أعجبت بالشاب وبقوسه الجميلة.. ولكن أذهلها عناده،

وأزعجها رفضه القاطع إذ لم تتوقعه..

كانت عناتُ أشد الآلهة بأساً وعنadaً إذ لا تياسُ أبداً، وهكذا أطلت

ثانيةً في مخدع البطل أقهاث:

- اسمع أيها الفارس..

صاحت به في ظلام مخدعه:

- لقد رفضَ أخي إعطائي قوساً كقوسك، ولكن امنحها لي.. وبالمقابل

أهبك هبة الخلود وبها تعيشُ أبداً كالإله..

فتح أقهاثُ عينيه غير مصدقٍ ذلك العرض الكريم، بينما راحت هي

تزين له عرضها السخي:

- اطلبِ الحياةَ أيها البطل اطلبها.. سلني الخلودُ أعطيك إياه ومن لا يشتهي الخلود؟ لئن أطعتني أجعلك تحصي السنواتِ مع إيل.. تعدُّ الأيامُ يا أقهاتِ بلا نهايةٍ كوالدي الثور فما هو ردك؟..

- الخلود؟!.. لا يليق بالعدراوات الكذب.. لكنكِ يا عنات لم تقدرى على منح بعلك الخلود، وها هو يموت كل عامٍ أمام عينيكِ ورغماً عنكِ فيصيبك الحرمان والفجيعة..

جن جنون الربة وهي تسمع رده الوقح:

- وما مصير الإنسان يا سيدتي؟ الخلودُ لم يُكتب للبشرِ أبداً، وككل إنسانٍ آخر ستُطلى جهمتي يوماً بالحص و تغطى باللفائف ثم تُرمى تحت الأرض مثل أي متسول..

- ويلك يا أقهاتِ (صاحت الربة).. سلم لي سلاحك اليوم وإلا اصطدتك برمحي كغزال..

هنا سخرَ أقهات من الربة قائلاً:

- ومنذ متى تجيدُ النسوةُ فن الصيد؟..

هنا زارت عنات في نوبة غضبٍ اجتاحتها، وخرجت من قصر البطلِ متوعدةً، ومن ضربات قدميها على الأرض ضربت الأرض الزلازل..

أسرعت العدراء إلى أبيها إيل رب السماوات:

- فلتسمع يا إيل ماذا فعل الأمير الوقح بربة الحرب.. فلتأذن لي أنت يا من تملك مصير البشر بأن أنتقم منه وأطبق عليه القصاص العادل، فالبشر لا يتحدون الآلهة أبداً..



- ولكنني يا ابنتي من أهديتُ البطلَ إلى أبيه الصالح..  
- لتعلم أيها الثور أنني أعني اليوم ما أقول.. من يتدخل لإنقاذ هذا  
الوقح مني سيتعينُ عليه محاربتني أنا بالذات..  
هنا غضبَ الأبُّ شاعراً بالمهانة:

- تقفين بصلفٍ هنا في السماوات ضاربةً الأرضَ بقدميكِ يا عنات  
وتصيحين بالخالق؟!..!!.. أمنحك اليوم إذاً - وقد عرفتُ قسوتكِ  
وجبروتكِ - كل ما تريدين، وفي طريقكِ لن أقف..

## عنات وأقهاات (١)

ثم تقلبت الربة على فراشٍ من الجمر طيلة الليل محاولةً أن تكظم غيظها:  
- كيف أقتل بيدي من أحب؟.. كيف أوذي عامدةً من ينبض قلبي  
عطفاً عليه؟..

ثم ابتسمت الربة وقد خطرت لها فكرةٌ ماكرة..

وهكذا تنكرت الربة على هيئة صبيةٍ حسناء، وبعد رحلةٍ بحثٍ طويلة  
عثرت على الفارس أقهاات يصطاد في البراري..

هنا ظهرت الربة للبطل في الغابة كحوريةٍ بكامل سحرها وغوايتها،  
ثم طلبت منه أن يلاحقها إلى مكانٍ بعيدٍ آملةً أن تحصل منه على قلبه وقوسه  
بضربةٍ واحدة..

أطاع الفارس الشجاع طلب الحورية الحسناء، وحين انفرد بها تمالك  
نفسه وأظهر للحسناء قوة إرادته:

- لا أفهم قصدك أيتها الحورية.. لقد طاردتني بلا هوادةٍ زمناً وقد  
علمت كم أنا مشغولٌ بالصيد.. وإذاً أجيّب رغبتك بالرفض إذ لا  
يشغل الصياد عن طريدته شيء، ولتبحثي لك عن حبيبٍ آخر في  
مكانٍ آخر..

هنا جن جنون الربة المحاربة وأعمالها الغضب، فيممت وجهها شطر  
محاربتها ورسولها يطفان..

صاحت الربة في المحارب:

- اسمع يا يطفان.. أقوى الرجال وأجملهم أقهات قد أهان لتوه سيدتك  
عنات، وها هو اليوم يسكن في هناة قرت (قرية) أبيليم مدينة الإله  
يرينجو..

- وماذا بعد يا مولاتي؟..

- على رسغي يا يطفان أضعك كنسر، وعلى راحة كفي أحملك كصقر  
جارج ماهر في الصيد إلى حيث يرتاح ابن الملك دانييل..  
يومى المحارب في طاعة لسيدته..

- البطل الآن في براري المدينة منهك من الصيد، وهو يوشك على  
التهام فريسته..

قبل أن يطلع النهار أطلقك عليه كنسر شرس.. وضمن زمرة النسور  
تحلق فوق رأسه، وأكون أنا نسرًا آخر أحوم بينكم ناظرة إلى فريستي تحتي..  
سوف تضرب تاجه مرتين، وتنقر ثلاث مرات أذنه، وتسفك دمه كالطريدة..  
إذ ذاك يقع البطل على ركبتيه وتخرج نفسه من صدره كالريح، ومن  
أنفه تتبخر روحه إلى الفضاء..

## عنات وأقهاات (٢)

وإذ جلس البطلُ المتعب ابنَ دانييل ليأكل الشواء، حومت فجأةً فوق رأسه زمرةٌ من النسورِ الكبيرة..

من بين هذه النسور أطلقت عليه عنات واحداً ضربه مرتين على التاج وثلاثاً فوق الأذن..

وهكذا انسكب دمُ المحاربِ قانياً كالخمر على الأرض وتداعت ركبته، ومن صدره تسارعت أنفاسُهُ كالريح الهوجاء، ثم تبخرت روحه من منخره إلى الفضاء..

وقفت العذراء العملاقة مترقبةً تشاهد سكون المحارب على الأرض..

ثم انفجرت فجأةً تبكي وتنوح قائلةً:

- ويلٌ لك أيها الفارس المستلقي على الأرض دون حراكٍ لأنك خالفتني.. أنا من أعطيتك الخلودَ عن طيبِ خاطرٍ لكنك اخترتَ قوسك ونبالك، ولأجل سلاحك وكبريائك ترقد على الأرض هكذا دون أنفاس..

وهكذا راقبت المحاربة باكيةً الطيور تهبط على جثة الفارس لتأكل كبده وانتظرتها حتى أتمت مهمتها، ثم تفرقت النسور بعد ذلك طائرةً إلى السماء:

- وَيْلٌ لَكَ وِلي..

كذلك صاحت من لوعة الفقد..

ثم نهضت الربة يائسةً بحثاً عن القوس المنشودة.

ثم رأت خادمها يطفان يحمل القوس في فمه كالصقر حاملاً الفريسة..

كان السلاحُ قد سقط من فم الصقرِ إلى أعماق المياه.. وحين أمسكت

الربةُ القوسَ أخيراً كانت قد كُسرت كسراً عميقاً أتلّفها..

من ألمها وغضبها أطبقت الربةُ أسنانها بقوةٍ حتى تكسرت، ثم

صاحت نائحة:

- لقد علّمتُ الفارسَ معنى التواضع، ولأجل قوسه قتلتته.. ولكنني

أصيح اليوم ككباشٍ يائسٍ في الحظيرة، وأنبحُ ككلبٍ أضاع عصاه،

أنا التي فقدتُ اليوم كل ما عملتُ لأجله.. ومن صياحي الساعةَ

ستدبل براعم الصيف وتموت السنابل في كيزانها!..

## دانييل وبُغات (١)

وقف رجل الرب دانييل كعادته في المحكمة ينصف الأرملة ويحكم للفقير موزعاً على الناس العدل.

لكن كانت ابنته الصالحة بُغات تلاحظ آنذاك علائم شؤمٍ أرعبتها..  
رأت بُغات أولاً البراعم تُحني رؤوسها من العطش الشديد، ونبات الحنطة يجف حتى يموت في كل مكان..

ثم إنها أبصرت النسور تحوم فوق قصر والدها وأسراب العقبان تنظر تحتها، فبكت في أعماقها شؤماً إذ علمت من الطيور الناعقة أن رجلاً عظيماً قد مات..

وهكذا استعارت ثوب أبيها وضمته إلى صدرها فزعاً ثم تساءلت:

- فوق أي جثةٍ تحوم تلك العقبان؟

حين اشتد الجفاف راح رجل الرب يصلي بلا كللٍ كي تمنح الغيوم المتفرقة في الفصل الحار أوائل رذاذها، وكي يتجمع الندى فوق حبات العنب..

- أي بعل حدد، يا رب العاصفة.. لقد نسيتنا يا ابن الرب سبعة أعوامٍ كاملةً، ولم نلمح منذ دهرٍ نذاك ولا أمطارك يا راكب الغيوم، ولا سمعنا صوتك الحلو الهادر كالرعد.. كذلك نسينا ابناً الفارسُ أقهات فجفت من بعده أرواحنا كهذه الأرض العطشى..

سألت الابنة الصالحة أباها:

- ما نحن فاعلون يا أبت؟ لقد سألتُ الغيومَ والنجومَ مئة سؤالٍ وأنا العرافة، لكنها لم تجب عن أسئلتِي.. وعصرتُ الشعيرَ كل صباحٍ كي أحصل منه على الماء.. أتراها الأرضُ تضرجت بدم الجريمة؟..

- فلتُسرّجِي يا قارئة النجوم حماراً بسرّجِي الفضي..

فعلت قارئة النجوم من فورها ما أمرت به على قدميها..

ثم حملت بُغات أباها المسن فوق السرج الفضي..

وتبعت الابنة أباها حيثما جال فوق حماره في أرجاء الأرض العطشى

ممارساً طقس الخصوبة والسقيا..

كلما لمح الرجل الصالح ساق نباتٍ غضةٍ في الأكمة هبط عن الدابة

معانقاً النبات، ثم قبل الساق الخضراء بشفتيه هامساً:

- فلتزهر أيها النبات الصغير في الأرض الجافة..

وإذ لمح عشبةً واحدةً صغيرةً صاح بها:

- عسى أن تمتد إليك أيتها العشبة المباركة يد بني أقهات المفقود

لتضعك في مخزن حبوبنا فتطعمي الجياع..

وهكذا مضى اليوم إلى أن لمحت بُغات مذعورةً رسولين شاخين قادمين

من بعيد..

وإذ اقتربا سمعت من شفّتي الرسولين نواحاً وعويلاً، وقد ربط كلُّ

منهما رأسه بعُصاة.. ثم إنها رأتهما يضربان الرأس ثلاثاً فوق الأذنين.

صاح أحد الشابين:

- آه لو أن بعل لا يُحمّلنا إلا أنباء الفرح والانتصار.. لما حملنا آئذٍ لك  
أيها الملك الطيب إلا الأخبار الطيبة، لكن العذراء المحاربة ما تفتأ  
تحمّلنا هي الأخرى بالأنباء البائسة الساحقة..

قال الرسولُ الآخر دافع العينين:

- اسمع يا رجل الرب.. البطل أقهات قد مات.. الربّة العذراء قد  
أخرجت كريحٍ روحه من أنفه، وجعلته يبصق حياته من حلقه  
كالدم..



### دانييل (٣)

هنا تشنجت حنجره الرجل الصالح في صوتٍ كالفحيح، ثم رفع عينيه نحو السماء بصيحةٍ طويلةٍ باكية..

ثم تقلصت عضلاتُ ظهره، وارتجت مفاصله وانهمرت الدموع من عينيه كالمنظر المتظر طويلاً...

- ألهذا يا بعلُ حامت الطيور النهمة فوق أرضي العطشى؟.. ألتنهش من جثة بُني الحبيب؟.. ألهذا حرمتنا يا سيدي الماء والمطر؟..  
أجابته بُغات النائحة:

- كلا يا أبت.. بل إن السيد غاضبٌ من فظاعة الجريمة لذلك خاصم أرضنا.. وأما الطيور فقد علمنا أنها تحوم حيثما وُجد الدم المسفوك..  
- ولكن أية جريمة؟ وما الذي حدث يا ابن الرب؟ وأين هو الجسد الحبيب للفارس البطل؟..

وإذ لمح الملكُ الصالحُ الطيورَ تنعق جهة الغرب صاح مخاطباً السيد:  
- فلتحطم يا إلهي أجنحة النسور، ولتكسر أيها السيد عظام صدرها..  
حتى إذا سقطت مزقتُ حوصلتها إلى أن أعثر على جثة القتيل الحبيب.. فإن وجدتُ داخل الحوصلة حنطةً وحصى تركتها

وانشغلتُ باصطياد ما تبقى.. وإن وجدتُ بداخلها لحماً وعظاماً  
دفنتُها ووقرتُها في حفرة رحم الأرض التي يجب على كل مخلوقِ  
العودة إليها..

كان بعلٌ بدوره يزجر غاضباً حانقاً من الغدر إذ تذكر كيف قُتل هو  
كذلك يوماً ما ظلماً...

وهكذا رأى الناسُ أجنحةَ الطيور تتكسر، والطيورَ الكبيرةَ تتساقط عند  
قدمي الرجل الصالح..

وكلما عثر دانييل على حوصلةٍ فارغة رجا ربه أن يرحم الطيور  
ويعيدها إلى الحياة.. وهكذا طيلة اليوم.

- انهضي أيتها الطيور فقد قتلتكِ ظلماً.. عودي إلى الحياة ولتطيري بعيداً..

ثم لمح الجميع الإله (هرغاب) أبو النسور يطير قادماً من بعيد ومتسائلاً  
عن مصير كل تلك الطيور المتساقطة..

لكن غضب الإله حدد كان شديداً كفاية إذ تكسرت كذلك أجنحة  
(هرغاب) العظيمة..

وداخل حوصلته لم يعثر الأبُّ البائس النائح على شيء..

- لتنهض يا أبا النسور، ولتطر ثانيةً في عليائك فيأبني ليس في أحشائك..

ثم أقبلت الإلهة (شمول) أم النسور..

داخل حوصلتها عثر الملك هذه المرة على عظام ابنه الحبيبة!.. ثم إن  
دانييل المفجوع بكى العظام بحرقه، وراح يغسلها وينظفها ثم أرقدها بتبجيلٍ  
في حفرة أرباب الأرض..

ثم إنه تضرع إلى ربه قائلاً:

- لتكسر يا إلهي أجنحة النسور إن حومت ثانيةً فوق قبر ابني وأقلقت  
راحته الأبدية..

وإذ عادت سُموّل إلى الحياة ركع الأب على ركبتيه وتضرع إليها أن  
تخبره عن قتل ابنه الوحيد..

أجابته الآلهة القوية ذات الجناحين الهائلين:

- يطفان خادم الربة عنات هو من قتل ابنك الحبيب يا ابن الرب..  
يطفان هو الذي أسال من رأسه الدماء غدراً... فلتهدئ من روعك  
أيها الأب الباكي..

## دانييل وبُغات (٢)

بعد مراسم الدفن والصلوات اتبع الملك الصالح كعادة الأقدمين كل طقوس الأجداد بحذافيرها..

أولاً لعن مدن قورماييم وقرت أبيليم ومرارات:

- ويلٌ لك أيتها المدن والتي بجانبها ضُربت جمجمة بنيّ إلى الأرض..  
ليصبك القحطُ والموتُ والمرض، وليصبح أبنائك لاجئين في أرجاء  
الأرض وأيتاماً حتى آخر الزمن..

و ثانياً اعتكف الملك في قصره، وتبعته النسوة النائحات وظللن في  
القصر يبكين البطل سبع سنين..

وأما الرجال والخدم فقد مزقوا جلودهم وظهورهم بالسياط حزناً طيلة  
سبعة أعوام..

ثم قدم الملك كل يوم متبعاً عادة الأجداد للآلهة أعطيةً حزينة من  
العطور والبخور.

وهكذا حتى تصاعدت في المدينة الروائحُ الزكيةُ إلى السماء وجالت  
بين النجوم ثم دخلت أنوف سادة السماء جميعاً..

وفي المعابد أقيمت الولائم ورقصت الراقصات بالصنوج..

في نهاية العام السابع صاح الملك بالنائحات وجالدي الظهور طالباً  
منهم التوقف عن الحداد..

ثم سمع الناس قهقهة بعل الصاخبة فجأةً بين الغيوم، وضربت الصاعقةُ  
الأرضَ ثم انهمرت الأمطارُ على الأرض مدرارةً وتدفت الأنهار في أخاديد  
الأرض العطشى..

- إن سيد الحياة الذي أعطانا أقفهاث ثم أخذه ثانيةً سعيداً الآن وثلل  
لأننا اتبعنا طقوس الأجداد بحذافيرها، وأقمنا الحداد سبع سنين  
وقدمنا الأعطيات للآلهة جميعاً..

ثم خاطب الصالح ابنته:

- لكن أباك يا ابنتي الصالحة قد عاد ثانيةً كما كان أبداً دون ابنٍ..  
- برعاية الطقوس والعادات تحمي يا أبت العبادات والأديان وترضى  
عنك الأرباب، ومن بعدك أتابع أنا ابنتك العمل الصالح وأقيم  
العدل بين الناس..

- وماذا عن الثأر يا فتاتي؟.. أليست العدالة في القصاص دوماً؟..

- نعم يا أبت.. العدلُ أيها الملك العادل في القصاص..

ابتتك التي تعلم مسارَ النجوم وتحمل الماء على كتفيها كل صباحٍ ومن  
الشعيرِ تعتصر قطرات الماء تخرج مباركتك لتخرج اليوم باحثةً عن القصاص..  
ستبحث بُغات يا والدي عن قاتل طفل العائلة، وبهذه اليد أضرب من ضرب  
ابن أُمي..

- أعيدي لي حياتي التي سُرقت مني بتطبيق القصاص.. بالقصاص  
العادل يحيا أبوكِ ثانيةً..

وهكذا خرجت بُغات من القصر بحثاً عن قاتل أخيها.  
وأما الملكُ الصالح فقد تابع حياته في رضا وقناعة مسلماً أقداره للآلهة،  
وأقام العدل بين الناس وأرضى الرب إلى آخر يومٍ في حياته إلى أن غدا في العالم  
السفلي إلهاً من الربيين..

## بُغَات

مشت الابنة الصالحة وكاهنةُ بعل نحو البحر، حيث اغتسلت بمياهه  
المالحة جيداً..

وكسوريةٍ أصيلة جمعت من أصداف البحر لون الأرجوان، وبه صبغت  
شفتيها وخديها بالأحمر القاني..

ثم ارتدت ملابس الأبطال والمحاربين، وفي غمدين غرست خنجراً  
ثم سيفاً..

وفوق ذلك كله ارتدت لباسَ شابةٍ حسناء..

حين مالت شبش نحو المغيب خرجت بُغَات نحو الحقول، وإذ غابت  
شعلة الأرباب تماماً التمعت في الظلام خوذتها وبرق سيفها..

وإذ وصلت الحسناء المحاربة إلى الخيام رآها الجنودُ فتسمروا من الخوف  
دون كلمةٍ واحدة..

وتناهى الخبر إلى يطفان في جناحه حيث كان يشرب الخمر:

- سيدتنا المحاربة ذات البأس قد أتت لزيارتك بجمالها وحمرة خدودها..  
فوق رأسها خوذتها حاملةً جميعَ أسلحتها..

صاح خادم السيدة بعد أن أغضبها:

- أدخلوا سيدتنا المحاربة ابنة خالق هذه الجبال، واسقوها دم العنب  
من كؤوس الفضة..

كان يطفان شبه ثملٍ من فرط الشراب فلم يميز وجه سيدته عن وجه  
الزائرة الغربية في الظلام..

وكلما أُتِيَ لُبُغَاثٍ بِكَأْسٍ من الخمر سقته إياه مثنى وثلاثاً حتى كاد  
يفقد وعيه..

راح الخادمُ يتزلف في ذلِّ لمولاته الغاضبة منه وقد انعقد لسانه:

- هذه اليدُ التي قتلت لكِ البطلَ أقهات يا سيدتي ستقتل كذلك ألفاً  
من أعدائك، وبالسحرِ الأسود يخضع لكِ أشد الرجال بأساً..

- لقد غلب حَسَدُ المرأةِ وغيرُتها القاتلة وكبرياؤها سيدتك يا يطفان،  
وهكذا وَقَعَتْ في شباكِ الجريمة..

توسعت عينا المحارب الثمل في ذهولٍ مما سمع، لكنه ظن أن الربة  
عنات تشعر اليوم بغصة الندم فراح يواسيها ويبرر جريمته قائلاً:

- بل مات البطل لسببين يا مولاتي.. الأول قصاصاً من غرور البشر  
وتحديهم للآلهة ورفضهم طاعتها، والثاني أن أقهات لم ينفذ وعده بتقديم  
جزءٍ من كل ما يصطاد للأرباب وهكذا حطمت يدُ العقاب حجمته..

- وكذلك يقتصُّ من جريمتك سيفُ العدلِ يا من سرقتَ دون ذنبٍ  
حياةَ ابنِ أُمي..

شهق القاتل مذعوراً إذ انتبه لأنه اعترف بجريمته لأخت القتل، لكن  
سيف بُغَاثِ المسلول إلى عنقه كان أسرع منه إذ اخترقه بسرعة البرق وأسأل  
على الأرض دَمَ المذنب..



التمعت عينا الابنة الصالحة في رضا وهي تتسلل من المخيم بين الجنود..

كانت قد أحيت للتو من جديد أباهها..

رفعت وجهها إلى السماء قائلةً:

- وأما من الآلهة فلا يجوز ولا يمكن الاقتصاص.. فلترحمينا يا عنات..

كذلك تقتل نزواتُ القدرِ أحلامنا وتغير رياحه مجرى سفننا..

وستسمع الآلهة أن الابنة المجدة الصالحة التي تقرأ النجوم في الليل

وتصحو كل فجرٍ للعمل ستواظب حتى نهاية أيامها على عباداتها وطاعتها وعلى

إحياء ذكرى موتها الغار كما وعدت ذات يوم أباهها..

## حلم حمورابي

حمورابي هو سادسُ الملوك الآموريين السوريين الذين هاجروا شرقاً  
وحكموا بابل<sup>(١)</sup>.

وقد ارتقى جدنا العظيمُ العرشَ بعد اعتزال أبيه لمرضه وضعفه.. وقد وسع  
الملك حدود مملكته حتى بلغت ماري وسط الفرات، وكأجداده من رجال الرب  
حكم الناس بالإنصاف بل كان شغوفاً بالعدالة لدرجةٍ لم يشهدها التاريخ من قبل..  
حين زار الملك الشابُ محاكمَ بابل ذُهل من حجم الظلم الذي يقع على  
بعض المتقاضين، إذ اغتصبت حقوقُ اليتامى والأرامل في وضوح النهار، ولم  
يكن للقضاةِ مرجعٌ يرجعون إليه سوى نزواتهم وأهوائهم ولا هم شأؤوا  
إنصاف الضعيف من القوي..

- الحقيقةُ الساطعةُ كالشمس في المحكمة لا تهم بقدر ما يهم مكانةُ  
البشر المتقاضين ومزاجُ القاضي.. لا بد أن الآلهة يرتعدون في  
السموات غضباً من مظالم البشر..

وهكذا أوى الملك الصالحُ إلى فراشه مضطرباً مهتاجاً من كل المظالم  
التي شهدها بأم عينيه..

---

(١) وفقاً للمؤرخين تعود أصول ملوك بابل إلى القبائل السورية العمورية (الآمورية) التي كانت  
تسكن في جبال بسر غربي الفرات (جبال البشري) ومنها توجهوا شرقاً وغرباً وشمالاً.

ثم إنه رأى مناماً عجيباً أيقظه متعرقاً مذعوراً.. لقد رأى في تلك الليلة ربة العدالة شمس بجرمها الضخم المحرق غاضبةً في الظلام:  
- فلتزري يا خليل الآلهة غداً معبد ربك.. لقد اختارك الأرباب لمهمةٍ عظيمةٍ تليقُ بك..

حين صحا الملكُ في الصباح اغتسل وردد صلواته في نفسه للآلهة، ثم أخبرَ مستشاريه بالحلم العجيب:

- ما الحلمُ يا سيدي إلا رؤياً ورسالةً من الآلهة للقلب الطاهر..  
ثم إنه ذهب في موكبٍ إلى معبد شمس، وعلى البوابة طلب من مستشاريه أن يدخل إليها وحيداً دون كاهن..

داخل قدس الأقداس كان الظلامُ دامساً إلا من شعلتين خافتتين في الزاوية، ومن شدة البرد والخوف تجمدت أطرافُ الملكِ وارتعدت شفثاه..

كان تمثال الربة الجالسة على عرشها ما زال منتصباً في نهاية المعبد بقلنسوته الهائلة والرداء الطويل والذراعين على مسندي العرش..  
تلاقت رموشُ الملكِ الشاب عدة مراتٍ وانتفض قلبه بعنفٍ في صدره وهو لا يكادُ يصدق عينيه:

- أقسمُ أن التمثالَ يتحرك، وأنني أسمعُ صوتَ تنفسٍ بشري..  
ثم إن ذراع الربة تحرك في العتمة ممتداً للأمام جهة الملك المرتعد بلفافة كبيرة من الجلد..

كادت ركبتا الملك أن تتداعيا في الظلام وعيناه معلقتان على الرأس المتوهج للربة الغاضبة، غير أنه غطى فمه بيده وتابع ترتيل صلواته حتى لا يشل الرعبُ قلبه..

بعد أن تناول الملك اللقافة منحنيًا خرج متعرقاً محمومًا وأراها للمستشارين  
الذين ذهلوا مما رأوا..

كانت ربة العدل قد أرسلت له شرائع السماء مفصلة كي يحكم بها بين  
الناس..

حين قرأ القضاة تلك الشرائع رفعوا الحواجب في ذهولٍ وعدم رضا،  
وقد ساءهم أن تحد هذه الشرائع من نفوذهم..

- العين بالعين والسن بالسن؟ إذا فقام أحدهم عين الآخر فعليهم أن  
يفقؤوا عينه..

- إذا ضرب ولدٌ والده فعلى القضاة أن يقطعوا يده..

- يُفترض في المدعى عليه البراءة حتى يحضر المدعي الدليل!

- ماذا؟.. يحق للرفيق أيضاً تملك الأموال والتجارة؟ يا للهول..

- يتساوى الميراث بين الأبناء؟.. وكذلك تحدد الآلهة الأجور التي  
تُمنح للعامل؟..

ثم أمر الملك بأن تُنقش الأحكام على أربعين مسلةٍ توزع في أجزاء  
البلاد.. أمر:

- وتنصب المسلات في جميع الميادين العامة، حتى لا يكون لأحدٍ عذرٌ  
في عدم قراءتها..

وهكذا تجمع الناس في الميادين العامة وقرؤوا:

- أنا خليل الآلهة.. وقد اختارتني شبش لنشر العدل في البلاد وحماية  
الضعيف من القوي وتحقيق المساواة..

وهكذا احتفلوا واستبشروا إذ علموا أن لهم الآن نصيراً..

- لقد بات لنا ناموسٌ يحمينا..

وقد سخر بعض الكهنة قائلين:

- علام نشرُ القوانين المكتوبة ومعظم الناس أميون لا يقرؤون؟

- حتى يعلم الناس أن لكل جرمٍ عقاباً فيرتدعوا..

وقد حكم الملك الصالح دهرأً حتى طعن في السن، وقد أسمى ابنه

(شمشي إلونا) عرفاناً بالجميل للإلهة التي اختارته من بين الآخرين..

وحين مات قدسه الناس إلهاً، وقد غدا في العالم السفلي كمن سبقه من

الرييين..

- لظلك الهائم في العالم السفلي الرحمة والسلام يا من أهدانا الحق

والإنصاف والعدالة.. لك كلُّ التبجيل يا من كنت في حياتك قوةً

الربِّ ولسانه، وقد نسخت الأجيال كلماتك.. وتناقلها الناس من

بلد إلى بلد.



السيفُ السادس  
سفرُ الأساطير الأول  
الملكُ الصالحُ قرت  
الإله حورون  
ابنة الشمس

---





## أسطورة قرت لعنة الإله رشف

ويُلُّ للملك الصالح قرت، والذي عاش زمناً طويلاً.  
ويُلُّ له فقد انمحت عشيرته عن وجه الأرض، وقد انتهى أمام عينيه  
جميع آل بيته..

كان إله الطاعون والمرض (رشف) قد توعدده، ونفذ بإصرار وعيده..  
وهكذا حمل (رشف) درعه ورشق بالسهم عائلة قرت مرةً تلو الأخرى..  
لقد كان في قصر قرت ثمانية إخوةٍ هو أكبرهم.. لكنهم ماتوا جميعاً  
فانسحق قلبه!

وهكذا عزم مولانا على إنجاب وريثٍ للعرش فاتخذ له زوجةً لكنها  
كبرت وماتت..

وكذلك ماتت الثانية..

وأما الثالثةُ ففي عز شبابها ماتت، وأما الرابعةُ فقد ضربها الطاعون،  
والخامسةُ اختطفها رشف دون رجعة..

والتهمت السادسةُ صفحاتُ يم (إله البحر)..

وأما السابعةُ فقد قُتلت بالرمح..

كان الإله العنيد ابن إيل مثابراً حتى النهاية في إفناء عائلة الملك الصالح،  
وقد خافه أهل إيبلا العظيمة أيما خوفٍ وسموا باسمه إحدى بوابات مدينتهم..

من يعتني بالعجوز قرت؟ (بكي الملك)

ومن للملك إذ يكاد يُسلب منه مُلكه وقواه؟ من يخلفه إذ بلغت عائلته  
نقطة النهاية؟..

وهكذا دخل المسحوقُ ألماً وحرقةً مخدعه وذرف دموعاً سخيةً من  
الويل.. انهمرت الدموع المحرقة على سريره كقطع (الشيكل) الفضية، ومن  
كثرة ما ناح سقط في نوم عميق..

وفي أحلامه تبدى له إيل أبو البشر وخالق المخلوقات..

اقترب إيلاي الحنون من الملك الباكي وسأل:

- ما الذي ألم ابنا قرت هكذا حتى أبكاه وقد بلغ نحيبه بوابة السماء؟  
اطلب تُعط يا بني.. إن شئت ملأت خزائنك ذهباً، وإن طلبت  
منحتك حقولاً وخيولاً..

- ما حاجتي للفضة يا أبت، وما حاجتي أنا الفاني إلى الخيول  
والعربات والعبيد فيما أرى سلالتي قد آلت إلى الانقراض؟..

لقد توعدني إبنك رشف وطاردني دهرأ وها هوذا ينفذ مثابراً وعيده..

فمن أين لي بشنومٍ بارٍ يرعاني مثلك؟

أجابه الأب قائلاً:

- فلتغتسل أيها الملك وتطهر.. اغسل ذراعيك حتى المرفقين ومر  
بأصابعٍ مبتلة على الوجه والجبين.. فلتحمّر خديك وتدخل خيمتك  
وبيدك اليمنى خروف الأضحية وثوراً وطيوراً..

فلتصبّ الحمرة في وعاءٍ من الفضة، والعسل في وعاءٍ من الذهب واصعد  
إلى أعلى البرج رافعاً يديك إلى السماء مقدماً الأضحية لأبيك إيل في السماوات..  
ثم لتجمع جيشاً جراراً من عشرات الآلاف والنجباء بلا عدد..  
حاملو الأسنة لا حصر لهم بالآلاف يخرج الخسيسون (العوام).. ليسيروا  
رتلاً ثنائياً... ثلاثياً أطعمه من خبز حنطتك واسقه الخمر من جرارك..  
لتحضر الفلاح والجندي العجوز والشاب الصغير وليمشوا أمامك  
كغيوم العاصفة، ويتجهوا جنوباً بكثرة حبات المطر.. ليغلق العازب بيته  
وينضم لجيشك، المريض يحمل فراشه ويتبعك والأعمى يتعثر مطارداً الجنود..  
وأما العريس فليعط حبيبته للغريب ويلحق بجيشك.  
وكالجراد ليهاجموا مملكة أدوم المسقية.. أدوم الثرية..  
أمام أسوار أدوم لا يتحركن أحد..  
اضربوا حصاراً طويلاً دون رمي الرماح أو الحجارة على القلعة.  
وحين يبعث ملكها باييل رسالة يطلب فيها السلام ويعرض الفضة  
والثيران أجبه:

- ما حاجتي أيها الملك إلى المعدن الأبيض والمعدن الأصفر وخزائني  
مملوءة بهما؟ بل أعطني ما ليس عندي يا باييل.. برك الحسنة حوراي  
العذراء، المجيدة طيبة الرائحة كالربة عنات والجميلة كالربة عشيرات  
شعرها كاللازورد بمحجرين كالرخام وحاجيين كالمرمر لأن ربي إيل  
أخبرني في منامي أنها ستكون وحدها أم سلاتي..

قل «بالحلم أتاني إيل... بالحلم أنبأني أبو البشر أن سيولد لي منها  
خلفٌ لكرت وغلأمٌ لعبد إيل».

## أسطورة قرت الصالحة حوراي

نهض الملك مذعوراً وقد أدرك أن ما رآه كان رؤيةً ورسالةً من الرب إيل .  
وهكذا ضرج قرت خديه بالأحمر واغتسل إلى المرفقين، ثم اختار أفضل  
الخبز والخمر والطيور وضحي بها للرب إيل من أعلى البرج ..  
وبعد أن أطعم مدينته كلها احتشد الناس، ومنهم جمع جيشاً جراراً ..  
ثم سار الجيش جنوباً ...

بعد شروق اليوم الثالث وصل إلى قدش [معبد] عشيرات، وعند  
قدسها نذر نذراً:

(إذا تزوج حوراي وأنجب منها فسيهب معبد الربة ضعف مهر  
العروس فضةً، وثلاثة أضعاف مهرها ذهباً)

عند شروق اليوم السابع وصل إلى مدينة أدوم الكبيرة الثرية .  
أمام أدوم المسقية الثرية رابط جيشه الجرار ..  
أمام الجيش ركضت النسوة عائداتٍ من الحقول حاملاتٍ الخشب .  
وجرت حسناواتُ أدوم حاملاتٍ السنابل من حقول الحنطة وأوعية  
الماء من النبع ..

طيلة سبعة أيام لم يَقوَ ملك إدوم باييل على النوم، إذ لم تتوقف ثيرانه عن الضجيج ولا حميره عن النهيق ولا كلاب الصيد عن النباح أمام الحشود الجرارة، حتى سألته زوجته عما هو فاعل..

حين بعث فبل (باييل) رسله بعرض السلام رددوا أمام قرت كلمات الثور إيل ذاتها في الحلم، وعرضوا عليه الهدايا ذاتها فضحك الملك قرت معلناً:

- لقد وعدني سيدي إيل ببكركم الحسناء حوراي ذات الجفنين كأوعية العقيق..

هنا تساءل المبعوثون في استغراب عما إن كان قرت قد رأى حوراي إذ كان يصفها بدقة..

ثم اضطر الملك باييل للقبول بالزيجة الملكية، وأرسل مبعوثيه ليرافقوا الحسناء إلى عريستها..

كان الرسل والخدم ينوحون ويبكون لفراقها قائلين:

- اليوم تأخذ منا أيها الملك قرت أميرتنا المحسنة الكريمة والتي أطعمت الجائع وسقت العطشى.. فكما تئن البقرة لفراق عجلها ويزعق الجنود عند فراقهم أمهاتهم كذلك يتحسر شعب أودوم لفراق ابنتهم الحبيبة الراحلة اليوم إلى الأرض الغربية..

أقام الملك قرت في قصره بأوغاريت وليمةً كبرى دعا إليها جميع الأرباب، ووزع فيها الهدايا على أهل المدينة..

بعد أن تأخر المدعوون حضر أخيراً إلى المأدبة رب السماوات إيل ومعه زوجته رحم، وكذلك سيد الأرض بعل وكوثار الصانع الماهر..

ثم دخل الرب رشف بقامته الهائلة النحيلة حاملاً رحمه المخيف..  
فارتعدت لقدمه فرائص الحضور فزعاً..

لكن رشف رب مدن تونيب وشيشيم (شكيم) سر بالوليمة حقاً،  
وأرضته الهدايا النفيسة فابتسم..

ثم هدر صوتُ بعْلِ الأعظم ابن داغون مخاطباً إله السماوات:

- هلا باركتَ يا إيل نبيلنا قِرتَ وَخَلَدتَ مجده؟..

هنا تناول إيل بيده اليسرى كأسَ النبيذ، وباليمنى وعاءً به ماء ليبارك  
خادمه النبيل:

- أباركك اليوم يا خادم إيل وقد سأمحك ابني رشف.

الزوجةُ الحسنة التي تدخل قصرَكَ اليوم ستحمل لك ثمانية أبناءٍ ذكور  
تسمي أكبرهم يا صِيب.. ويا صِيب هذا سيرضع الحليب من ثدي عشيرات  
وعنات شأنه شأن جميع الآلهة..

هنا بكى قِرتَ من تأثره.. ثم سمع أبو البشر يقول:

- وسط ظلال العالم السفلي يا قِرتَ يتجمع اليوم أجدادك وحكام  
بلدك السابقون ليمجدوا اسمك إذ حفظت لهم السلالة..

ثم إن عروسك ستنجب بعد الأبناء الذكور الثمانية كذلك ثمانى بناتٍ  
إناث يكون لأصغر ابنة منهن جميع حقوق البكر ويكون اسم الصغرى  
(تتمانات) وهي البنت الحميمة التي ستبكيك وتندبك.

وهكذا أكل الأرباب وشربوا طيلة الليل ثم مضوا عائدين إلى  
السموات تاركين قرت ممتناً عاجزاً عن التصديق..  
لقد ابتسمت له الأقدار ثانيةً، وسيكون له ستة عشر ابناً وابنة!..  
وبضحكةٍ عريضةٍ دخل قرت إلى عروسه ليخبرها عن كل ما قيل له على  
مأدبة الأرباب..

## حكاية قرت

### المعصية

ومرت ثمانية أعوامٍ كالحلم السعيد..

ظل قرت يحكم بين الناس بالعدل، وأما الملكة حوراي ابنة بابل فقد  
عُدت من بين نساء الرب الصالحات إذ أطعمت كعهدا دائماً الجائع  
وكست الفقير..

وخلال هذه الأعوام أنجبت لزوجها عدداً لا يصدق من الفتيّة  
والفتيات (التوائم).

وكان اسم أكبر الأبناء والبنات الأمير ياصب ولي العهد، وأما أحب  
بنائه إلى قلبه فكانت أصغر الأميرات واسمها تمانات..

وقد راقبت الآلهة بسرور ابنها الصالح وخادمها يحقق كل آماله والهناء  
يسكن في قلبه ومملكته.. ما عدا إلهة واحدة هي عشيرات الغاضبة..

كانت عشيرات (أثره = أثيره) تراقبُ بنفاذِ صبرٍ وتترقب أن يفني  
الملك قرت بنذره لها والذي قطعهُ في سني بؤسه ويأسه بأن يدفع ضعف  
وزن حوراي فضةً وضعفيه ذهباً..

لكن الملك الصالح وفي غمرة هنائه وسروره نسي أن يفعل..



لقد ارتكب رجلٌ الله إذاً دون أن ينتبه معصيةً كبرى إذ لم يوفِ نذره  
للآلهة!..

جلست الربةُ على شاطئِ البحرِ عاقدةً جبينها، وخاطبت صيادها  
(قدشو):

- طيلةً هذه الأعوامِ جلستُ هنا، وانتظرتُ يوماً بعد يومٍ أن يفني  
ذلك الابن العاق بوعده الذي قطعه يوماً لإيلات..

- ربما نسيَ الملكُ وعده يا سيدتي.. تعلمين أن قِرت لا يقصد العقوق..

- ما هكذا يعاملُ البشر آهتهم!.. مهما كبروا وعلت مكانتهم..

حاول قدشو الطيب تسويةَ الأمر:

- فلابعث له يا مولاتي من يذكره بنذره..

- إياك أن تفعل يا صاحب الشبكة.. لستُ أنا من يتسول ما هو حقُّ

لي، وما نذَرَ في معبدي في لحظة صراعه وحاجته..

- فما أنتِ فاعلةٌ يا أم الآلهة؟..

- لقد نفذ صبري، وإذا فقد أن أوأن الانتقام..

## حكاية قرت قرت مريضاً..

ومن حيثُ لا يدري ضربَ الملكُ قِرتَ مرضٍ شديدٍ عضالٍ أقعده في سريره..

وسط هنائه الذي خالهُ نعيماً أبدياً داهمه ذلك المرضُ الغريب والذي لم يفلح جميعُ الكهنةِ والأطباءِ في علاجه..  
زاره ابنه إيلحو باكياً مرتجفاً..

خاطب الرجل المريض ابنه:

- يا بني لا تبك.. وإياك أن تتأوه لأجلي.. جفف مآقيك من الدمع..  
وحين يأتي الوقتُ نادِ أختكُ تماناتُ البنتُ الحنونة.. هي التي ستبكيني وتندبني.

صاح الملكُ يائساً لزوجته حوراي وقال:

- فلتذبحي أيتها الفاضلةُ أسمنَ عجولي، ولتفتحي أجودَ ما في المملكةِ  
من جرارِ الخمورِ المعتقة، ولندعُ نبلاءَ المملكةِ السبعينِ إلى مأدبةِ كبرى  
على شرفِ الآلهة..

وهكذا اختارت حوراي أفضل الخرافِ والعجول «وعشرة ثيرانٍ ذبحت»  
ودعت نبلاءَ المدينة الذين دخلوا قاعة العرش، ورأوها تضع يمانها فوق الطبق  
وبالسكين تقطع لهم الذبائح الشهية..

- لقد دعوتكم اليومَ يا أحبائي كي تأكلوا وتشربوا وتصلوا لسيدكم  
الجليل قرت..

وهكذا صلى أبناءُ المدينة: أثرياؤها وفقراؤها لصحة الملك المريض،  
وقدم النبلاءُ بدورهم الأضحيات في جميع المعابد بلا استثناءٍ كي يسترد  
الملكُ صحته..

ولكن دون فائدة..

كان الملكُ يسيرُ كلَّ يومٍ من سيءٍ إلى أسوأٍ ويزداد نحولاً وهزالاً..  
وهكذا أعادت البائسةُ حوراي الكرةَ مراراً ودعت أعيانَ البلدِ إلى أفخم  
وليمةٍ رأوها..

هكذا خاطبتهم وهي تقطعُ اللحمَ بينما هم مطرقون:

- لقد دعوتكم اليومَ يا أحبائي كي تبكوا وتنوحوا بكاءكم على الميت  
الموشك على مغادرتكم..

فلتصيحوا اليومَ كالثيرانِ الجريحة، فملككم موشكٌ على الوصولِ إلى  
مملكة غروب الشمس حيث بوابة العالم السفلي.. سيدنا الحبيب يكاد يدخل  
بقدميه عتبة الظلام..

مسح النبلاءُ دموعهم في صمت:

- وإن حدث ما أتوقعه أيها السادة أصبح أكبرُ أبنائي (ياصِب) ملكاً عليكم، وهو ما زال صغيراً..

ناح النبلاءُ وبكوا وصلوا طيلة الليل كي يرحم إيل خادمه الصالح..

ثم جمعت حوراي أبناءها الكثر حول أبيهم في مخدعه.

حول الأب الغائب عن الوعي تعالى نحيب الأبناء المحيين حتى بلغت

حسراتهم كبد السماء..

## حكاية قرت نصف الإله..

ثم تسلل بعضُ أبنائه الذكور إلى مخدعه وراحوا يبكون في يأس..  
قال أحدهم:

- كالكلاب الوفية نزحف حول سيرك يا أبت.. هل يتحول مخدعك  
إذاً إلى دار عزاء الرجل المسن؟.. هل يتحول قصرك السعيدُ أبداً إلى  
بيتٍ أزلٍ للنائحات..  
أجابه أحد الأثقاء:

- صخورُ قصرِ بعل ستبكيك يا أبي.. وجبل صفون البعيد يرتجُ  
لأنباءِ مرضك المفاجئ.. لقد سعدنا في بيتك أيها النبي.. يا من  
تناولتَ طعامك مع الأرباب.. وقد نمونا وكبرنا بعد أن قيل لنا أن  
أبانا لا شك خالدٌ في هذه الحياة بل ونصف إله..  
هنا تكلم الأخ الثالث بجرأة:

- أجبنا يا نصف الإله.. لقد قيل لنا في المدينة أنك ابنُ الإله الأعلى  
إيل من الحسنة يا طيبات، وهكذا ظن الجميعُ إذاً أن قرت نصف  
إله.. لكن الإلهة خالدةٌ لا تموت!..

هنا راح الابنُ الأولُ يهز كتفي المريض صائحاً:

- كيف يموتُ نصف الإله؟.. وإن متَّ اليوم أيها الأب فأنت إذاً  
لست ابناً لإيل كما قيل لنا!.. هل يا ترى خُدعنا؟

هنا فتح المريض عينيه من صياح الأشقاء الثلاثة وهمس بصوتٍ ضعيف:

- لا تنوحوا يا أبنائي، ولا تتورم أجفانكم من النواح على أبيكم، ولا  
تشغلوا أنفسكم بمصيري.. وعوضاً عن ذلك أحضروا أصغر  
وأحب بناتي تمانات الحنونة والتي تحبني كما لم يحبني مخلوقٌ آخر..

فتح الأبناء أعينهم مذهولين من يقظة المريض المفاجئة..

عاد الأبُ المريض ليهمس:

- ولتأخذ الرحيمَةُ أساها إلى الحقول، ولتسمع التلالُ صياحها  
ونواحها الحبيب..

- سمعاً وطاعة.. سنوقظ من فورنا أختنا الصغيرة..

- لا تخيفوها ولا تخبروها بقرب موتي، بل أخبروها أنني مقدمٌ  
أضحيةً ومقيمٌ وليمةً للأرباب، وأن عليها المساعدة كابنةٍ صالحة..  
وانتظروها هناك على عتبة الباب..

وأما أنت يا بني (إيلحو) فلا تُفرغ لأجلي دموع مقلتيك، بل أقم  
صلاتك وطقوسك عند بوابة القصر من أجل روحي..

## حكاية قرت..

### إيلحو وتتمانات..

ما إن أظلم وجهُ السيدة شبش وصحا المنجل مضيءُ النجمات حتى ذهب  
(إيلحو) المحب لأبيه حاملاً رُحمه إلى بوابة القصر حيث لم يكن ثمة غيره..

وفي الظلام انتظر حتى الفجر، ثم راح يقيمُ الصلواتِ والتوسلات  
للأرباب لشفاء الملك نصف الإله..

وإذ سمع صوتاً سحب مذعوراً سيفه من غمده، لكنه فوجئ بوجود  
أخته تتمانات والتي اعتادت الاستيقاظ باكراً لسحب الماء من البئر..

وحتى لا تميزه أشاح بوجهه عنها ناحية البوابة..

تعرفت الابنة الصالحة على أخيها الأكبر المتشح، ورمت على الأرض  
جرة الماء وصاحت به مذعورةً:

- هل أبوك إذاً يا أخي شديد المرض؟.. أنت تقيم في العراء صلاةً  
لروح المريض ممسكاً حربتك ومشيراً إلى عنقك..

- كلا يا أختاه.. بل أبوك يدعونا جميعاً إلى مأدبة كبرى..

- فلتتوقف يا أخي عن إلهائي وخداعي ولتخبرني بالصدق.. كيف  
أخفيت عني الحقيقة؟..

هنا يضطر الفارس إيلحو للمكاشفة:

- من ثلاثة أشهر يا أختاه بل من أربعة أشهر لم يتحسن أبونا شعرةً،  
عكس ما أخبرناك.. بالصدق أخبرك إن نصفَ الإله يحتضر، وهو  
اليوم على فراش الموت..

هنا تشهق تهنات العطوفة مغطيةً فمها بيديها.. ثم تستمع إلى  
تعليمات البطل:

- فلتنهضي كل صباح أيتها الصالحة الشفوقة، ولتحضري لأبيك قبراً  
كبيراً في مدخله عدة حجراتٍ للاستقبال وله سقف مرتفع فسيح..  
هنا كاد نحيب الابنة يبلغ السماوات.

لكنها عضت على شفتيها، وراحت تنفذ كل ما أمرت به..

ثم تسللت كل ليلةٍ إلى مخدع أبيها ممسكةً بيديه، ولتذرف الدموع  
السخية على فراشه..

وحين تعجز الشفوقة عن المكابرة تأخذ الرحيمة أساها إلى الحقول  
لتسمع التلال نواحها الكئيب..



## حكاية قرت..

### ابتهاالات المرض والشفاء..

طيلة مرض رجل الرب كان هطولُ المطر قد توقف تماماً وتشقت  
الأرض من العطش..

وهكذا ماتت سنابل القمح ونَدَرَ الحَبْزُ والخمر، وبكى المزارعون من  
الهلح..

وهكذا جمع الابن الأكبر (ياصب) والحاكم الفعلي جميع إخوته ومنهم  
إيلحو وتمانات..

- إن علينا يا أشقائي التماس المطر من سيد السماء والأرض..

أجابه إيلحو:

- لنرسل إذاً الرسل إلى جبل صفون..

قرب قمة الجبل المقدس صب الرسل في طقس الاستسقاء جرار الزيت  
والنيذ فوق التربة الجافة، وصلوا الرب الأعالي مقدمين له القرابين..

وقد شارك في الطقس رسولا بعل (جبن) و(أوغار)، وشاهدوا على  
الجبل الجموع المتطلعة إلى بيت بعل طالبةً العون..

ومن رسوليہ سمع ربُّ الغيوم بعل بمرض الرجل الصالح كرت فسأل  
رسوليہ:- كيف لم أعلم؟.. وفي لحظة رفع المزارعون عيونهم للسماء ورأوا  
غيومها تتلبد فجأة.. ثم هل المطرُ مدراراً..

صاح حُرث الأرض من البهجة إذ رأوا فرح الخنطة بهطول المطر مدراراً،  
وعلى الأرض سالت السيول السخية..  
ثم أنبأ بعل إيل بمرض الملك الصالح، ففتح العجوز الحكيم عينيه  
وفمه قائلاً:

- فلنستدع يا بني خادمتنا ووصيفنا (إلش)، وليدعُ (إلش) زوجته وصيفة  
الربات.. وليصعد كلاهما في مجمع الآلهة إلى أعلى البرج، وليصيحا من  
متراس البرج على الآلهة السبعة والسبعين طلباً للمساعدة..  
وتنفيذاً لأوامر والد البشر زعق إلش وزوجته فوق البرج وسط  
السموات زعقةً مرعبة:

- من يطرد أيها الأرباب مرض كرت؟.. من منكم يقدر أن يمسح  
عنه طاعونه؟..

انتظر الوصيفان ومعهم إيل إجابة أحد الآلهة، ولكن دون جدوى..  
كان الأرباب يخشون غضب عشيرات المدمر..  
ثم عادت الصيحات السماوية تزلزل الفضاء.. ثانياً وثالثاً ورابعاً.. ثم  
خامساً وسادساً وسابعاً.. ولكن دون مجيب!  
وهكذا دخل (إلش) محمر الوجه على إيل ومعه زوجته كسيرةً  
مهمومةً، وراح الاثنان يعتذران..

هنا علا صوتُ العجوزِ مخاطباً أبناءه الآلهة:

- فلتجلسوا يا ابنائي على عروش ممالككم.. أبوكم المريض سيستوي  
ثانيةً على عرشه ويصنع بنفسه تعويذةً تعين ابنه المريض..

## حكاية قرت..

### (شَتَقَات) شيطانة الصحة..

وهكذا اعتلى أبُ الأرباب عرشه، وأمسك بيمناه قدحاً ويسراه إبريقاً،  
وملأ بهما طيناً طرياً..

ويديه المباركتين اللتين بدأتا كل شيءٍ خلق من الطين شيطانةً صغيرةً  
بجناحين كبيرين..

ثم إنه نفخ فيها روحاً وقال:

- أدعوك أيتها الصغيرة (شَتَقَات).. فلتفتحي عينيك ولتملوك الحياة  
يا طاردة المرض..

كذلك فعلت المرأة المجنحة.. فتحت الصغيرةُ عينيها وسمعت أباهَا  
يأمرها:

- فلتطيري سراً إلى المدينة يا شتقات.. وفي الليل رفرفي بجناحيك  
فوق سرير الرجل المريض..

ثم لتلمسي بعصاك جبينه، وهكذا حتى يفرُّ المرصُّ من صدغيه ويسيل  
من رأسه الطاعون..

- سمعاً وطاعة..

أجابته الشيطانة الصغيرة..

- ثم أجلسي المريض واغسله، ومن تعرقه نظفيه... تمتمي (لتتبدد أيها الموت)، ولتصبحي يا شتقات منتصرةً على المرض..

أومأت الشيطانة الصغيرة برأسها، ثم رفرت بجناحيها الكبيرين مغادرةً

قصر إيل..

حين دخلت مخدعَ الرجل المحتضر وسمعت كل النواح ورأت الوجوه

الحزينة راحت تبكي من التأثر..

وفوق سرير الرجل المريض فعلت الصغيرة كما أمرت.. وبعينها رأت

الطاعون ينسلُ خارجاً كالأفعى من جبين الملك..

ثم إنها غمرت الملك في الماء حتى أزالته عنه الأدران وتعرق المرض..

خارج المخدع كانت الملكة حوراي تنوح، غير إنها سمعت صوتاً قوياً

قادماً من مخدع زوجها:

- فلتذبحي يا زوجتي لي خروفاً وعجلاً فأنا جائع..

اتسعت عينا المرأة المنكوبة وصاحت على أبنائها بلهفة:

- أبوكم يطلبُ الطعامَ يا أبنائي! أهذا حلمٌ أم حقيقة؟..

ثم أسرع لتحضير الطعام..

لم يتبته الملك وهو يجلس إلى المخلوق الصغير ذي الأجنحة الكبيرة

والذي طار بهدوءٍ من النافذة..

هنا دخل الخدمُ مهرولين ومعهم خروفٌ مشوي.

ولدهشة الجميع التهمه الملك بسرعة.. كان الرجلُ شديد الجوع  
والنهم.. ثم أحضرت حوراي عجلًا لزوجها، فالتهمه العليلُ الذي كان قد  
اعتلى وحده المنصة..

- لقد كُسرت اللعنةُ وهُزِم المرض!

(صاحت المرأة في ذهولٍ غير مصدقة)..

## حكاية قرت الغاصب (ياصب)

كان ياصب جالساً على العرش باسماً منتفخ الصدر وقد امتلأ فخراً  
وصلفاً..

لقد اغتصب الشابُ عرش أبيه دون حقٍ، إذ لم يمت الملك بعد..  
فتح مغتصبُ العرش عينيه في ذهولٍ وذعر حين أبصر والده كرت  
مقبلاً عليه بخطواتٍ عريضة..

كان الأبُّ متورد الخدين، وقد طرد عنه المرضُ بلا رجعة..

خاطب الأبُّ ابنه:

- فلتنهض يا بني حالاً عن العرش.. لقد أقبل سيد العرش ليجلس  
على كرسي حكمه..

هنا احمر وجه ياصب واحتقنت عروقُ عنقه وهو يتنحج غير عالمٍ  
كيف يجيب..

مد الأب يدَه إلى ابنه غير أن الأخير دفع عنه يد أبيه وصاح به معاتباً:

- أتعلم ما حل في غيابك يا أبت؟..

- كلا يا بني..

- لقد أغار على المملكة قطاعُ الطرق.. تسلطَ الأغنياءُ وتضورَ الفقراءُ  
جوعاً..

- ولكن..

- منذ زمنٍ لم تجلس على العرش لتعطي الأرملة حقها وتحكم بين  
المتخاصمين.. لقد أدرتَ وجهك عن المظالم ولم تطعم اليتيم..

بدون الحاكم يا سيدي يتمزق نسيجُ المجتمع وينهارُ البيت وتنقطع  
قناةُ البركة الممتدة كنهراً من السماوات..

- وأما الآن يا يا صلب فقد أعادتني الآلهةُ لآخذ حقي، وأطعم ثانيةً  
الفقيرَ واليتيم..

- كيف وقد أدرت عنهم وجهك دهرًا؟..

ما أسقطك عن عرشك هو مرضُك وعلتُك وليس يا صلب..

فلتنزل إذاً عن عرشك لابنك الأكبر.. أنت يا من اتخذت الطاعونَ  
زوجةً، وشاركك المرضُ فراشك زمناً..

- بأي حقٍ أيها الغادر تأمر والدك الذي أعطاك الحياة بأن يسلمك  
حكمه؟..

راح الأبُ يرتعد من الغضب ثم قال:

- هذا هو العقوقُ بعينه..

أجابه الغاصبُ بصلفٍ:



- من أيها الشيخ أهمل نذره للآلهة وتناسى وعوده؟..  
من بكسليه وتهاونه عرّض حياة المخلوقاتِ والعالم للخطر، حتى  
جفت الأرض وتضور الناس جوعاً؟..  
لذلك كله يجلس اليوم (ياصب) ملكاً..

## الإله حورون (١)

في مخدعه بكى الأبُ المظلوم والملكُ المخدوع..  
حدق عبر النافذة في السماء بمرارةٍ وهو غير فاهمٍ ما حل به وبملكه..  
ثم إنه ناجى في سره الأرباب قائلاً:  
- لقد نلتُ أيتها الأرباب قصاصي العادل.. أنا الذي نكثتُ عهودي  
للآلهة وأخلفتُ وعدي ونسيتُ نذري.. إنها المعصية بعينها..  
وهكذا ليلةً بعد ليلة، ناجى الملكُ المخلوعُ السماواتِ والآلهة..  
وهكذا حتى بلغتْ تأوهاتهُ أسماعَ عشيراتِ الأمِ الأولى و التي بغضتِ  
العقوق فقالت:  
- لا بأس يا ابنِ ضرتي المظلوم.. غداً أرسلُ لكِ ابني الإله حورون..  
كان حورون هذا إلهَ الرعاة وحامي القطيع..  
وقد خطا حورون خطواتٍ هائلةً حاملاً بيده عصا ثخينة يطرد بها  
الوحوش مبعداً إياهاً عن الخراف..  
وكان السوريون قد حملوه إلى مصر من زمنٍ بعيدٍ حتى عبده أهلها..  
- لَتَطْرُ أيها الصقر إلى الملكِ دامع العينين، ولتساعد يا ابنِ دجن  
الحاكم المخلوع..

وسط السماء المظلمة تبدى للملك المخلوع عبر النافذة صقرٌ حاد  
المنقار عرفه كرت من فوره..

وراح يخاطب إلهه:

- فلتضرب أيها الراعي الأكبر بعصاك رأس اللص، ولتؤدب الابن  
العاق.. لُتُرجع يا حورون إليّ حقي، وقد أرسلتك أمك لي.. ولتعلم  
كل مغتصبٍ أيها الراعي فضيلة التواضع والصبر..

وهكذا رأى ياصب الجالس على عرشه ذات ليلةٍ أمامه عملاقاً هائلاً  
هو حورون وبيده عصا مرعبة..

وبضربةٍ واحدةٍ على رأسه كُسرَت جمجمته وسالت منها الدماء.

خر ياصبٌ صريعاً على عتبة العرش الذي من أبيه سرق..

وهكذا عاد العرشُ لصاحبه الشرعي، واحتفلت المملكة أياماً وليالي

بزوال الكابوس وعودة العدل للأرض والحق إلى نصابه..

## الإله حورون (٢)

### والفرس ابنة الشمس

في مجمع الآلهة دارت حياة الأرباب اليومية كعادتها.. راح الآلهة يستمعون بأذانهم الحادة إلى أصوات العباد وابتهالاتهم ويتداولونها فيما بينهم..

ثم إنهم راحوا يستعرضون أعطيات المؤمنين لهم في المعابد ويتنافسون على من نال أفضل الهبات..

أولاً التمسّت أمٌ بائسةً جميع الآلهة لشفاء طفلها المريض ملتمةً لأرواح الموتى أن تطرد عنه الشياطين الشريرة...

وثانياً ظهرت في معبد عشيرات فتاةٌ شديدة الشحوب مريضةٌ بالطمث، وراحت ترجو الأم الكبرى وياريخ وجميع المخلوقات المقدسة القابعة بين الأرباب والبشر أن تقويها وتأخذ بيدها...

ثم هرولت داخل المجمع فرسٌ بيضاء رائعة الجمال لاهثةٌ من اللهفة والجزع:

- أم الفحول وابنة الشمس تناديكم.. ألتمسُّ لأمي شبش أن تحمل توسلي لإيل عند منبع النهرين وملتقى المحيطات..

هنا انتبهت جميع الآلهة للهفة الصوت المستغيث وجمال الفرس البيضاء..

- ابنتك التي تجرُّ عربتك عبر السماوات تتوسل إليك.. لتحملي يا شمش ابتهالي لإيل كي يُنقذ مهرتي الصغيرة من لدغة الأفعى ويشفيها من السم الزعاف.. إرم يا إلهي الأفعى خارج مرجي، ولتمسح سمها الجاري من عروق ابنتي..

لكن إيل يقعد على عرشه في حيرةٍ دون جواب إذ لم يعرف كيف يمكن شفاء سم الأفعى..

ثم يرتفع صوت الفرس ثانيةً:

- ابتهلي يا أماه للرب داغون رب مدينة توتول كي يسحق الأفعى الغادرة ويمحو سمها.. هل تسمعين يا شمش رجاء من تقودُ عربتك في أقطار السماء؟..

لكن الرب المعني بالرجاء داغون يجلس في تحفٍ وصمتٍ على كرسي عرشه في توتول الفراتية..

هنا تعاود الفرسُ صلاتها للرب رشف في مدينة إيبلا، ثم لعشيرات في ماري ثم للرب كوثار خسيس وهكذا إحدى عشرة مرةً لجميع الآلهة.. كل مرةً تعيدُ الكلمات نفسها وتذرف الدموع الحارة ذاتها..

- فلتسمع أيها الرب حورون ابتهال الفرس التي فقدت كل أبنائها واحداً بعد الآخر من لدغات الأفعى الغادرة الزاحفة والمتسللة بين الشقوق.. ما نهاية هذا العذاب؟..

كان الراعي قد انتظر طويلاً قبل أن تسأل الفرس معونته..

هنا احمر وجهه من الغضب وصاح شافي الأمراض بوجهٍ ملتوٍ:

- أمن العدل إذاً أن تُحرم الفرس القوية والجميلة من ذريتها هكذا؟..  
ثم إنه سحب من بين الأشجار نبات الطرفاء وساق القصب ثم مسح  
به طويلاً على ساق المهرة الجريجة..  
ومن جلدها المثقوب سال أخيراً السم خارجاً كالسيل ليغور في أعماق  
الأرض..

هنا صاح الأرباب معجبين بمهارة الشافي:

(لقد تبخر السم وتحطم المرض)..

### الإله حورون (٣)

#### والفرس ابنة الشمس..

كان الراعي ابن عشيرات ودجن هائماً على وجهه في أرجاء الأرض  
دون قصرٍ ولا مملكة..

الإله الشافي هائماً على وجهه دون قصرٍ بعيداً عن إخوته..

بعد أن غابت الفرسُ الجميلة عن ناظريه لم تغب يوماً عن خياله.. ولم  
يقدر على نسيان صوتها الناعم الدافئ..

ثم استجمع الراعي الصالح شجاعته وخطا يوماً إلى دارة الفرس  
حاملاً عصاه وقد أضاء وجهه بنورِ الفخرِ والحب الشريف:

- افتحي باب البيت أيتها الفرس كي يدخل حورون عليك.

انتبهت الفرسُ الحسناء للصياح القادم من خلف البوابة...

كانت الحسناء الآن تعيش في نعيم الأمن، وقد اختفت من أرضها  
الثعابين فزال عنها جحيم الخوف..

- أهو حورون ابن عشيرات من يدق باب قصري بعصاه في مدينة  
الشروق؟..

- نعم هو الشافي يا ابنة الشمس..

- وما يبغى الراعي من الفرس؟..
- إنه يريدُ قصرِك مسكناً له والحسناً له زوجة..
- لا تدخل علي حتى تعطيني مهري..
- وما مهر ابنة الشمس؟
- مهري هو جميعُ أفاعي الأرض.. وبمهري يعيشُ مهري إلى نهاية الدهر بأمان..
- ابتسم حورون قائلاً:
- أمنحك إذاً جميع نسل الثعابين ومن سمها يكون لك ترياقٌ لشفاء المرضى هديةً للزفاف.. وباتحادنا المقدس تحيا الكائناتُ في أمانٍ..
- وهكذا كان..
- ارتفع الراعي الهائمُ على وجهه من الأرض ليسكن في قصر الفرس ابنة الشمس بجانب إخوته بقية الآلهة..
- واتخذ حورون هيئةً صقرٍ عند بوابة الشمس مانحاً العالمَ الدواء والترياق من الأمراض جميعاً..
- مباركٌ أنت أيها الشافي والراعي حورون..



السفر السابع  
سفر الأساطير الثاني

---



## عروبة (أوروبا) وقداموس

لأجل صحة بني نذر كاتب هذه الكلمات (إيلي ملك) خصلات شعره  
لمعبد ملقرت في عمريت<sup>(١)</sup>..

في المدينة الجميلة الواقعة على شاطئ البحر جنوباً على البر المقابل  
لجزيرة أرواد زرنا أخيراً معبد بعل المدينة (ملك القرية - ملقرت)، وفي  
وسطه رأينا البركة المستطيلة العميقة ذات المياه الخضراء..

في المعبد الكبير قابلنا كاهناً شاباً أصلع أعطانا مأوى في حرم المعبد ثم  
أشار إلى الأسماك الملونة الكبيرة السابحة في البركة:

- إن لكل من هذه الأسماك اسمها الخاص، وهي مدللتنا.. انظروا إليها،  
ولكن إياكم محاولة لمس أسماك البركة المقدسة إن أردتم مغادرة المعبد أحياء..  
بسطت يداً على صدري قاطعاً وعداً:

- أقطع لك عهداً يا سيدي باحترام المكان، فأنا كسوري صالح لا  
آكل السمك ما حييت كما أمرتنا أمنا الأولى..

---

(١) ملقارت: الإله الكنعاني المشهور.

ملك - القرية = ملك المدينة = سيد المدينة = إله المدينة.

سيد إمبراطورية الكنعانيين في غرب البحر المتوسط.. وباسمه سمو المضييق الذي كانت  
تخرج منه سفنهم إلى المحيط: مضييق الإله ملقارت قبل أن يسميه اليونان مضييق هرقل  
والعرب مضييق جبل طارق.

ثم أمضيتُ طيلةَ نهاري التالي في خدمةَ المعبدِ متطوعاً، فحملتُ الماءَ من  
الينبوعِ المقدسِ خارجَ المدينةِ مشياً على الأقدام، وهكذا جيئةً وذهاباً حتى تبقى  
البركةُ إلى الأبدِ ملاءى بهاءِ الحياة..

في المعبدِ شاهدتُ وصحبي أعداداً من الماعزِ والخرافِ والطيورِ تملأُ  
الحرمَ، ولكن لم نشاهد الخنزير الذي نشمئز منه جميعاً..

في المساءِ وحين أقبلتُ على قصِ خصلاتِ شعري أقدمتُ خلالِ الطقسِ  
من فرطِ تأثري على حلقِ شعري كله وأتبعته بحلقِ الحاجبين..

ثم عزمْتُ على إمضاءِ ليلةٍ من اليقظةِ الكاملةِ والعزلةِ في الرواقِ  
المظلمِ المحيطِ بالبركة..

هناك قابلتُ حاجاً مؤمناً من صور يبكي في صمتٍ بالظلام..

كان الحاجُ مفعماً بالأسى إذ يغيبُ عن احتفالاتِ مدينتِهِ السنويةِ  
بذكرى اختطافِ إلهِ شعوبِ البحرِ للأميرةِ الكنعانيةِ عروبةِ (أوروبا) ابنةِ  
ملكِ صورِ (أجينور)، وهكذا راح يحدثني متحسراً:

- كان لملكنا المبجلِ (أجينور) ثلاثةُ أبناءٍ وابنةٌ حسناءٌ وتدعى عروبةِ  
(أوروبا).. وقد رأى إلهُ الإغريقِ زيوس أميرتنا منيرةِ الوجهِ كالقمرِ  
على شاطئِ البحرِ تلهو مع رفيقاتها وتجمعُ الأصدافِ فوقَ من فورهِ  
في غرامها..

وإذ انفردتِ الأميرةُ وحيدةً تمشي على رمالِ الشاطئِ الذهبيةِ انقلب  
الإلهُ الخبيثُ إلى ثورٍ أبيضِ رائعِ الجمالِ أليفِ المحيا بقرنينِ أبيضين لامعين.

وهكذا أخذت أوروبا تداعبُ برقةِ خاصرة الثور الجميل وتلمس  
قرنه.. وحين جثا أمامها في خنوعٍ فهمت أنه يدعوها لركوبه، فاعتلت ظهره  
في وجلٍ وحنان..

راح الثورُ يتمشى بدلالٍ فوق رمال الشاطئ البيضاء اللماعة فيما  
رفيقات الأميرة يتضاكن بعيدات في ذهول..

وإذ ابتعد الثورُ بالأميرة انتهز الفرصة السانحة وعدا بأقصى قوته نحو  
البحر..

هنا صاحت الرفيقات مذعوراتٍ وباكياتٍ على شاطئ البحر إذ رأين  
مشهداً عجيباً..

كان الثورُ ناصع البياض يسبحُ في البحر عكس الموجات وقد نبت له  
جناحان، بينما أمسكت أوروبا المسكينة مذعورةً بالقرنين الكبيرين خشية أن  
تغرق في الماء..

راح وشاحها يطير في الهواء ومن تحته تناثر شعرها الأسود الطويل،  
بينما انغمست أطراف ثوبها الحريري في الماء الهائج..

وهكذا حتى غاب الوشاح عن البصر، وحط الثورُ في أقرب جزيرة..  
لم تعلم المسكينةُ يوماً أنها لن ترى ثانيةً سورية الحبيبة مثل كثيرين  
غيرها ممن مروا على هذا الشاطئ..

كانت أوروبا رائعة الجمال... أحبها الإله وجعلها واحدةً من زوجاته  
الاثيرات.

ثم إنها حملت للإله الخاطف ثلاثة أبناء، وحين ماتت أُطلق على البر  
الغربي لجزيرته يأسره اسم محبوبته عروبة (أوروبا)..

وقد أرسلَ الملكُ المفجوعُ اليائسُ أجينور ابنه قدموس مع شقيقته  
للبحث عن شقيقته الضائعة والتي أحبها الجميع.

لكن الفارس قدموس عجز عن مقارعة كبير آلهة شعوب الجزر  
واستسلم لقدره وما عاد يجرؤ على العودة وحيداً، فبقي بدوره في تلك البلاد  
هائماً حتى وصل تبعاً جائعاً إلى مدينة اسمها طيبة..

وقد أشفق عليه أهل طيبة خلافاً لمدنٍ أخرى طردته، ورداً لجميلهم  
انكب على تعليمهم الكتابة...

لَقَّن قدموس شيئاً فشيئاً أبناء أوروبا حرفنا الكنعاني والعلوم فتعلم  
أولئك أبجديتنا السهلة العبقرية التي اخترعها علماءنا واختصروها بثلاثين  
حرفاً بعد أن كانت تكتب بمئات الحروف...

مسح الحاج عينيه الدامعتين خاتماً:

- لقد خسرتنا حقاً (أوروبا) وقدموس ذات يوم كجميع من مروا عبر هذا  
الشاطئ من الشباب، لكننا لن ننسى هذين الشقيقتين أبد الدهر..

وقد ربحهما الغرباء من شعوب الغرب..

سيبقى هذا دِيناً في أعناقهم، وسيردون لنا في يومٍ من الأيام هذه الأمانة.

في الموعدِ الكئيبِ ذاته من كلِّ عامِ تقتربُ السورياتُ المؤمنات من  
شواطئ البحر ليغمسن فيها الأقدام الحافية..

ثم يأخذن في الصياح والندب رافعاتِ الأذرعِ لاطماتِ الصدور.. ثم  
يحدقن في الأفق الضبابي بين الموجاتِ محاولاتٍ رؤية شبح الأميرة الحسناء  
ذات الرداء الفضفاض الأبيض..

## يونوس ملك العبيد..

ومن أعجب قصص الربيين والصالحين من أجدادنا السوريين ذلك  
الذي غدا ملكاً على العبيد..

ولد يونوس في أقاميا منذ زمنٍ غير بعيد..

وقد خطفه غزاةً هذه الأرض من الرومان، وجعلوه ككثيرٍ من  
الصابرين الصالحين عبداً في جزيرة صقلية..

كانت حياة العبيد في تلك الجزيرة لا تطاق إذ لم تكن لهم أية حقوق، و  
عاشوا حياتهم دهرًا دون أن يعرف أغلبهم ملاكهم بل عملوا كالحوانات في  
حقول السادة دون راحة أو عبادة..

وكان يونوس كجميع السوريين عابداً تقياً ومؤمناً للأمم الأولى  
عشيرات / أثارغاتيس فناجاها بعداباته طيلة يومه وزارته في منامه ليلاً..

وقد اشتهر بين الجميع كأغلب سوريي هذا الزمان بقدرته على قراءة  
القدر والحظوظ، حتى قدمه سيده للضيوف ليكون لهم عرفاً..

ذات يومٍ ظهرت ليونوس سيدته وراعيته عشيرات في منامه..

لقد رأى العراف السوري عشيرات العارية راكبةً لبوةً وحاملةً سعفة  
وخاطبته بصوتٍ كصوت الأم:



- ستغدو يوماً يا يونوس الصابر ملكاً على العبيد..

وهكذا لم تفارق تلك الرؤيا خياله قط..

ثم إن ربته حبته بقدراتٍ خارقةٍ أخرى، فبات قادراً كلما زارته الربة في رؤيا أن ينفث من فمه النار حتى هابه الآخرون..

وقد سمع الناس بالعراف السوري نافث النار، فتوافد الحجاج من كل مكان لزيارة الربى التقي كنبى من أنبياء السماوات..

ثم راح يونوس يجرى العبيد سراً على الثورة لاستعادة حريتهم وكرامتهم:

- الموتُ ولا المذلةُ يا إخواني.. ما هذه بحياة!.. انظروا حولكم.. نحن نُعدُّ في الجزيرة بعشرات الآلاف بينما السادة لا يتجاوز عددهم الآلاف..

ولكن خاف العبيدُ المصير المرعب للثائرين وهو الموت صلباً..

لكنه ظل يجرىهم وهو الخطيب المفوه:

- إن كانت الأرباب في صفكم فمن تخشون؟.. ألم تزرني راكبةً المياه في المنام؟ هي التي لا تطيق الظلم!

وهكذا حتى حرض عاشق الحرية جميع عبيد الجزيرة فشكلوا جيشاً

استولى على عاصمتها (إينا) في ما عرف بثورة العبيد الأولى..

في يوم النصر توج يونوس نفسه ملكاً:

- من الآن فصاعداً تسموني يا إخواني (أنطيوخوس) ككل ملوك سورية،  
وأدعوكم بدوري بالسوريين الجدد.. لقد كُتبت لنا الحرية!

أسكرتهم يوماً صيحاته المنتشية:

- ما أجمل الحرية يا أحبائي..

أخذ الثوارُ يكون من فرط التأثر:

- من اليوم تكون لنا دولتنا ونسك فيها نقودنا..

وهكذا نقش السوريون الجدد صورته على النقود، ونجح جيشهم بصد  
الرومان أعواماً طويلة فعاشوا حلماً جميلاً..

في النهاية لم يقدرُوا على دحر جيوش المعتدين، وقُبِضَ في النهاية على  
ملك العبيد الثائر..

سيق يونوس إلى روما، وهناك ألقى في جبٍ تحت الأرض على عادة  
ملاك الأرقاء..

في الكهف المظلم استلقى الحالمُ بالحرية على الأرض الموحلة ينزف  
وحيداً مشخناً بجراحه..

وراح ينتظر صباحاً من التعذيب ثم الصلب..

ولكن في سجنه زارته الربّة ثانيةً في المنام..

كانت الحبيبة تبتسمُ له وتبكي في آنٍ معاً..

مسحت بيدها الحنونة على رأسه..

لقد أخذتها الرحمة به فأخذته..

وهكذا لم يستيقظ ملكُ العبيد الصالح من منامه ذاك، بل انضم على

الفور لرجال الرب في مأدبتهم الأزلية..

### كومبابوس وستراتونيس (١)

حدث ذات يوم حين أمرت عشيرات عبادها ببناء معابد لها في كل مكان أن زارت الربة الملكة ستراتونيس الجميلة في منامها..

كانت ستراتونيس هذه زوجة ملك الاشوريين شمال البلاد جميلة وعاطفية وشهوانية، لذا عبت ربيها عشيرات / أتاغات بكل جوارحها.

- ستبين لي أيتها الملكة معبداً في منبج يكون أجمل أقداسي..

حين أبطأت الملكة وتكاسلت عن تنفيذ أوامر الربة ضربها مرض غامض..

عشيرات لا تحب العصيان..

ثم زارت الملكة الشرور!

فوقعت على درج القصر غير مرة..

وعلى رأسها سقط حجر..

ثم لدغها عقرب.

وهكذا فاتحت الملكة زوجها:

- لا مفري يا زوجي من تنفيذ أمر الربة، إن أردت لي أن أحيي في سلام.

هنا جمع الملك المال ثم استدعى أكثر قواده ولاءً وكفاءة الشاب  
كومبابوس:

- غداً تسافر أيها القائد على رأس جيشٍ إلى منبج برفقة زوجتي..  
ستحرسها من مخاطر الطريق، وتشرف هناك معها على بناء معبدٍ  
كبيرٍ للربة..

- ولم اخترتني يا مولاي؟!.. أنا لا أفقه شيئاً في البناء أو المال أو الأمور  
المقدسة؟..

- اخترتك لأنك رجلٌ شريفٌ مخلصٌ للملك، وأنا أثق بك ثقتي بنفسي.  
هنا ركع كومبابوس في البلاط راجياً الملك أن يعفيه من المهمة.. لكن  
الملك رفض إعفائه تحت أي ظرف..

وقد سرت الملكة أيما سرورٍ بأن يرافقها القائدُ شديد الوسامة في رحلتها  
الطويلة ومهمتها الشاقة..

في منزله رمى القائد الشاب بنفسه على الأرض وبكى في يأسٍ وهو  
يتنبأ بما سيحدث له في رفقة الملكة العاطفية:

- يا لتعاستي.. ترى كيف ستنتهي هذه الرحلة الشاقة؟ كيف يا جميع  
الأرباب أحفظ فضيلتي وولائي وأمنع نفسي عن ارتكاب الخطيئة  
وفعل الخيانة؟..

ما كان من الشاب الذي يقدر الفضيلة ويحتقر الخيانة إلا أن نزع  
خصيته وضمده جرحه النازف..

- الآن لا مخاوف ولا قلق، إذ لن تجد الغوايةً منفذاً لروحي..

وضع الشابُ العضوَ في صندوقٍ صغيرٍ فيه العسل والبهارات،  
وختمه بخاتمٍ حمله معه..

أمام الملك وقبل رحلته الطويلة قدم كومبابوس الصندوق قائلاً:

- أودعك يا سيدي كنزاً هو أعز عندي من الحياة والذهب كان مخبوءاً  
في بيتي.. واليوم أتركه في حفظك قبل رحلتي الطويلة.

## كومبابوس وستراتونيس (٢)

لم يعرف القائدُ الوسيم والزوجةُ الحسنة أن رحلتها ستمتد ثلاثة أعوامٍ عاشا فيها بالمدينة الفراتية وأشرفا خلالها بدقةٍ على بناء أجمل معابد الشرق..

حاولت ستراتونيس في البداية أن تقاوم عواطفها وتحفظ فضيلتها، لكنها أعجبت رغماً عنها بأخلاق القائد الشاب وإخلاصه وعشقت فيه قوته ووسامته..

كانت الربة عشيرات / أتاوغاتيس تطاردها بلا هوادة حتى أفقدتها مقاومتها فراحت تفكر كيف تنفذ إلى قلبه وتكسب حبه وقد علمت وفاءه وإخلاصه للملكه.

ثم راحت تبكي طيلة الليل ولا تفكر في غيره:

- كيف لا يراني؟ ما خطب هذا الرجل؟..

ثم قررت اللجوء إلى خدعة الخمر:

- إن أنا شربت حتى الثمالة تشجعت وصارحته بحبي، ثم أتظاهر بعد ذلك بالنسيان أو أعزو خطيئتي للسكر.. وقد تخفف الخمر من ألم الرفضِ وذلّه..

وهكذا فتح القائدُ عينيه ذات ليلةٍ في مخدعه على الملكة الثملة الحسنة في ثوبٍ حريريٍّ أبيض تقرب منه ملقيةً بذراعيها حول عنقه..

- آه يا كومبابوس ..

انتفض الشاب مذعوراً:

- لقد عشقتك زمناً ولم أجد أفضل منك روحاً وأخلاقاً ولا أعظم قوةً ورجولةً.. استحلقتك بألهة الحب التي نبني معبدها أن لا تحطم قلبي وترفض عواطفني..

ما كان من القائد إلا أن نظر باشمئزازٍ وصاح موبخاً:

- كيف أيتها الملكة تركت الخمر تذهب بعقلك؟ وكيف دخلت مخدع رجلٍ عازب؟ فلتخرجي من هنا حالاً ولتلتزمي بالفضيلة..  
في مخدعها بكت بحرقهٍ زمناً..

لكنها لم تياس أبداً، وراحت طيلة شهورٍ تطاردهُ وترسل إليه الهدايا وتظهر في مخدعه مراراً:

- أنت بلا قلبٍ أيها الفارس؟..

- كيف تطلين من الصديق المخلص أن يطعن صديقه؟ كيف أخونُ أعظم ملوك الأرض؟ أو تطلين الزنا هكذا دون حياء؟..

حين فقدت الملكةً أخيراً الأمل من عواطفه انتحبت وعضت على شفيتها مقسمةً على أن تعاقبه على جفائه..

- فلتسمع أيها القائد.. سوف تندم شر ندمٍ على تكبرك وجفائك.. ها قد أضعت أيها المجنون فرص نجاتك واحدةً بعد الأخرى..



### كومبابوس وستراتونيس (٣)

فتح الملك عينيه غير مصدقٍ وهو يقرأ رسالة زوجته الفاتنة والغائبة عنه زمنًا..

- كيف أسلمتني أيها الحبيب إلى عهدة هذا الذي دعوتَه أخلص أصدقائك؟..

- كيف سمحتَ لهذا الشيطان أن يطاردني طيلة شهورٍ، وحين رفضت تودده اغتصبني دون رحمة؟

- لا ألوم غيرك يا زوجي، ولا أسامحك حتى تأخذ بثأري..

فهم القائد الشقي ما حدث حين أبصر حفنةً من الجنود يقتحمون مخدعه بعنفٍ واضعين القيودَ في معصميه وكاحليه.

بكى التعسُّ طيلة الطريق إذ صدق صديقه وشاية الملكة:

- لقد تلطخت صورتي أمام الناس وبات الجميع يتهموني بالزنا.. إن علي إذاً أن أقبل الموت حتى لا أواجه هذه الحياة أو أضطر للاعتراف علناً بوضعي الجديد..

في قاعة المحكمة خاطبه الملك وهو يكاد يتميز من الغيظ:

- لقد ارتكبتَ أيها الوغد خمسَ جرائمَ مرةً واحدةً.. أولها فعلُ الزنا،  
ثم خيانة الصداقة والثقة وثالثاً خيانة الملك والوطن، ثم اغتصاب  
من أسلمت إلى عهدتك.. وأخيراً العبث واللغو في حرم الربة وأثناء  
خدمتها!

- كيف تصدق يا سيدي هذه الوشاية؟ أنا ما خنتك يوماً..

صاح به القضاة والوزراء:

- من يستحق الحكمَ بالموت أكثر منك؟.. فلتُعدم أيها الخائن..

حين سمعت ستراتونيس الحكم تنفست بارتياح:

- أخيراً ستخمد نار عواطفِي، وتلتئم كرامتي المجروحة..

ثم اقتيد الرجلُ الصالح فوراً بقيوده إلى السجن كي تُقطع رأسه  
بالسيف..

كانت أعماقه تبكي بعد أن اتهم بشرفه وهو الفاضل الأبدي.. لكنه لم  
يشأ أن يعترف على الملأ بما حل به وقد فقد أدنى رغبةٍ في الحياة..

حين رأى في الظلام لمعان السيف فوق رأسه صاح بالجلاد:

- فليفتح الملك الصندوق الصغير الذي أودعته إياه..

ثم فقد القائد حياته ظلماً..

في القصر فتح الملكُ بعد حين الصندوق الصغير غير فاهمٍ أهميته إلا  
بعد أن وقع ما وقع..

حين رأى الخصيتين وتأكد له ما فعله صديقه من أجله وحفظ عفته  
خر مغشياً عليه..

- لقد أعدمْتُ أطهرَ الرجال، وفقدتُ أعظمَ صديقٍ.. ويلى!

وأما ستراتونيس التي سمعت القصة فقد فهمت بعد فوات الأوان  
كيف قاوم القائدُ إغواءها..

ثم إنها هربت من العقاب ليلاً ملتجئةً إلى حرم الربة الذي بنته  
بنفسها، وفيه عاشت كاهنةً للربة حتى ماتت..

ابتسمت الربةُ إذ حققت كعادتها في النهاية مرادها..

## الأميرات السوريات القاتلات (١)

عاش في غابر الأزمان ملك السوريين العظيم دو كليسياس.. وقد كان هذا الملك طويلَ القامة عظيم القوة والصوت صالحاً وقد حكم سورية بقبضةٍ من حديد.

وقد كان للملك زوجةٌ حسناء فاضلة ومثل زوجها عظيمة القامة.

وقد أنجبت له من البنات ثلاثاً.

لم تكن الأميرات جميلاتٍ عظيمات القامة كالرماح فحسب، ولكن كن كذلك مستقلاتٍ عنيداتٍ قويات الشخصية معتداتٍ بحسبهن وعقلهن وإرادتهن..

وكانت أكبرهن (ألبينا) أكثرهن شراسةً وأعظمن قوةً واعتداداً بالنفس ورفضاً للخنوع.

دعا الملكُ بناته ذات يوم وخاطبهن بلهجةٍ آمرة:

- لقد بلغتن يا بناتي سن الرشد، ولأنني لم أنجب ابناً يخلفني فقد قررتُ أن أحفظ عرش سورية داخل عائلتي وأزوجكن من أمراء البلد المتنازعين الثلاثة والثلاثين، وهكذا تكون ملكةُ المستقبل حتماً واحدةً منكن..

هنا صاحت الأميرات محتجاتٍ كاظماتٍ الغيظ، سألت إحداهن والدها:

- وكيف ستختار كلٌ منا عريسها؟..

- بل يختار كلٌ من الأمراء من منكن تصبح زوجته، وكل الخاطبين

أثرياءً عقلاءً ونافذون..

وهكذا اختار ثلاثة من الأمراء الثلاثة والثلاثين زوجات المستقبل،

ولم يقبل دوكلسياس سماع أي اعتراضٍ من بناته الشقيات.

وشهدت الليلة السابقة للزفاف العظيم صياحاً وعويلاً وبذوراً

للمررد، إذ لم تُعجب أيٌ منهن بخاطبها..

وقد شعرت الأميرات بالهوان والعجز إذ تم اتخاذ القرار دون أخذ

رأيهن ولا استشارة قلوبهن..

صاحت أولى:

- بئسَ هذا المصير.. نحن لسنا ملكاً لأحد حتى يتم بيعنا هكذا.

أجابتها ثانية:

- فليذهب العرشُ إلى الجحيم.

وثالثة:

- وماذا عن الحب؟ وماذا عن اختارتهن قلوبنا؟..

ثم انفجرت بالتذمر والتمرد

- آه يا أختاه.. لو أن بإمكاننا فقط تبادل الأزواج المختارين!

- بل نحكمُ نحن عالم الرجال، ولا تحكُمنا قوانينُ الرجال (قالت أخرى).

- أما أنا فأكرهُ جنس الرجالِ برمته، ولن يملكني منهم أحد.  
هنا اقترحت ألبينا المتعطشة للدم بصوتها القوي النافذ محدقةً بعينين لماعتين قاسيتين:

- نتفق إذًا يا أخواتي على أن تقتل كلَّ منا عريسها في ليلة الزفاف.. كلُّ تفعلُ ذلك على طريقتها الخاصة..

امتلات الشقيقتان ذعرًا وصدمةً من خطة الأخت الكبرى..

لكنهن رحبن بالفكرة الغريبة دون تردد:

- ليس أمامنا حلٌّ آخر، وليس ثمة مجالٌ للفشل..

- حين تخلو أرضنا من الأمراء نغدو نحنُ حاكمات البلد الوحيدات، ولا يبقى أمام أبينا خيارٌ آخر..

وهكذا تم..

ذبحت كلُّ أميرةٍ عريسها بطريقتها..

فقد غرست إحداهن خنجرًا في الرقبة..

وأما الأخرى فدست السم..

والثالثة دفعت مالا لقاتلٍ مأجور..

## الأميرات السوريات القاتلات (٢)

حين بلغ النبأ المرعب أذني الملك الصالح لم يصدق أذنيه بل امتلاً ذعراً  
من فظاعة الجريمة واشمأزت نفسه دون حدود..

ثم إنه بات يخشى على نفسه من دموية بناته..  
وهكذا فقد جمعهن في بلاطه، وصاح بهن:

- لقد جلبتن أيتها المجرمات العارَ لاسم أبيكن والعائلة! وثرتن على  
حكم الرجال ضارباتٍ عرض الحائط بالعرف والتقليد!

في المحكمة لم تُظهر أيُّ من الأميرات السوريات ندماً ولا حاولن  
تبرير فعلتهن..

حدّقن في الفضاء بعيونٍ فارغةٍ تماماً ووجوهٍ خاويةٍ من التعبير..

وقد انتظرن بنفاذ صبرٍ حكم القضاة.. مؤمناتٍ بأن القضاة لن يجرؤوا  
على إزهاق الدم الملكي..

وهكذا كان:

- نحكم عليك إذاً بالنفي الأبدي فوق سفينةٍ تائهةٍ في عرض البحار.

تنهدت القاتلاتُ غير فاهماتٍ الحكم..

صاحت إحداهن متسائلةً بجبينٍ معقود:

- وإلى أي بلدٍ يتم نفيها؟

- بل توضعون في سفينةٍ دفتها محطمة..

هكذا أوضح قاضي القضاة:

- ولا يكون للسفينة وجهة، وهكذا لا نعلم أين تنتهون ولا في أي أرضٍ تموتون..

ثم أضاف آخر:

- ولا يكون على السفينة طعامٌ عدا الماء، وليس لها شراعٌ ولا مجاديف..

هنا صاحت الأميرات مذعوراتٍ من غرابة الحكم وفضاعته..

ثم رحن يبكين راجياتٍ الرحمة.. لكن دون جدوى..

وهكذا تاهت السفينةُ الملعونة طيلة أسابيعٍ وسطَ الماء..

وقد تقاذفتها الرياحُ والعواصفُ وتحطمت أخشابها على صخور

الشواطئ..



### الأميرات السوريات القاتلات (٣)

في قاع السفينة تقيأت الشقيقات وندبن حظهن:

- أترانا نموتُ جميعاً غرقاً في مياه هذا المحيط؟..

- آه.. كنا أميراتٍ منعمات، وإحدانا على وشك أن تغدو ملكةً فماذا فعلنا بأنفسنا؟..

قالت ألبينا رابطة الجأش والمتضورة جوعاً:

- لا تبتئسن يا شقيقتي، بل ضعن أقداركن في أيدي الآلهة.

ثم حملتهن أجنحة العاصفة طويلاً، إلى أن علقت سفينتهن في شاطئ  
ضحل لجزيرةٍ مجهولة..

وقد وجدت الشقيقاتُ فيها أرضاً كثيفة الغابات كثيرة الثمار غزيرة  
الأنهار والينابيع..

من ماء الجزيرة وثمارها أكلت الجائعاتُ وشربن راضياتٍ بقدرهن:

- وما عسانا نسمي هذه الأرض؟ (صاحت صغراهن)

- من أول من وضعت قدمها على البر؟ (سألت أخرى)

- إنها ألبينا..

وهكذا دعيت الجزيرة ألبيون (الاسم الأول لبريطانيا)..

وقد صارت الأخت الكبرى ملكةً على شعبها الصغير..

ثم اضطرت الشقيقاتُ المدللات ناعمات الأيدي لزراعة الأرض  
وبناء البيوت من الخشب وتربية الحيوانات، وصنعن الرماح والشباك  
فاصطدن بها الطيورَ والأسماك..

وقد جلن في أرجاء الأرضِ الشاسعة باحثاتٍ عن البشر، ولكن دون  
جدوى.. ولكن فكرن سرّاً

- الشكرُ الآلهة إذ رحمتنا وأنقذت حياتنا..

حين قويت الشقيقات نمت غريزتهن ثم بدأت أسئلتهن الكبرى  
تتوالى:

- ولكن أنبقى عازباتٍ هكذا إلى الأبد؟.. وأين هم الرجال؟..

- هل يأتري أخطأنا إذ اعتقدنا أننا في غنى عنهم إلى الأبد؟

- بل لسنا في حاجةٍ لأحد..

- ولكن سنفنى ويتتهي جنسنا وذكرنا على هذه الأرض!

لم تتبه الشقيقات لأن جنساً آخر من المخلوقات كان يعيش في هواء  
الجزيرة مطارداً إياهن..

كانت تلك المخلوقات مزيجاً من أرواح قوى الظلام والحيوانات  
الشیطانية القوية..

وقد راحت الوحوش تزور الأميرات في الأحلام على هيئة رجال..

وقد نشأ من تزواج الأميرات السوريات فارعات القامة مع الوحوش  
جنسٌ من العمالقة..

حَكَمَ ذلك الجنسُ الجديد تلك الأرضَ وفوقها تصارعوا إلى الأبد إلى  
أن دُعيت أَلبيون (بريطانيا) بأرض العمالقة..

## الشبح السوري

في أسوأ لحظات حياة هذه الأمة استغل أعداؤها الأشرار من شعوب  
البحر ضعفها وغزت جيوشهم الحرارة شواطئها.

وقد قاد ملكٌ سورية الجسور الصالح جيشه للدفاع عنها، لكن  
الأعداء أردوه قتيلاً بسهمٍ غادر فسقط شهيداً على ثراها الطاهر..

وهكذا طاب للجيش الغازي المقام فوق أراضينا المقدسة، واحتفل  
الجنودُ كل ليلةٍ في المخيم وشرّبوا الخمر ومارسوا الرذائل..

لكن ظاهرةً غريبةً برزت لهم رويداً رويداً..

أخذ الأعداء يعثرون كل صباحٍ على بعض جنودهم موتى من الفرع  
في المعسكر.. بوجوه صفراءٍ مذعورةٍ وعيونٍ محدقةٍ على اتساعها في الفضاء..  
حتى أن بعض أولئك استيقظوا في الظلام وجروا فزعين ملقين بأنفسهم في  
البحر أو النهر مفضلين الموت غرقاً..

لم يفهم الأعداء زمناً حقيقة ما يحدث، إلى أن أخذ الجنود ينامون في  
مجموعاتٍ حتى يتجنبوا المصير ذاته..

وقد نجا بعضهم من التجارب المفزعة ليحكى ما حدث..

راح أولئك يصفون شبحاً مرعباً يظهر لهم في ظلام المعسكر.. جسداً نورانياً عملاقاً أخضر اللون يظهر لهم كبرج في العتمة بأسنانٍ تقطر منها الدم..  
حكى بعض الناجين ممن فقدوا عقولهم:

- يقترب منك هذا الشبحُ العملاق رويداً رويداً.. ثم يزعق في وجهك زعيقاً ما سمعت مثله في حياتك.. ثم يمد يديه العاصرتين مطبقاً على عنقك كالخناق، وهكذا حتى تموت خنقاً غير قادر على التنفس أو الصياح.

وراح الشبحُ المخيف يظهر بإصرارٍ كل ليلةٍ في معسكر الغزاة حتى راح الجنود يفرون من المخيم هرباً بحياتهم إذ راحت يدٌ خفيةٌ تشعل الحرائق مراراً في الخيام وتطلق الخيول من مرابطها..  
تساءل قادة الغزاة عن هوية هذا الشبح وغرضه، وقد اجتمعوا مراراً لدراسة الوضع:

- لا بد أن الشبح هو لأحد الجنود السوريين القتلى..  
لكن أحد الناجين وصف أخيراً بدقةٍ ربحاً نازفاً مغروساً في صدر الشبح بينما لمح آخرٌ على الرأس تاجاً نورانياً صغيراً..  
وهكذا فهم الغزاة مذهولين أن ملك السوريين الشهيد قد استحال شبحاً مرعباً لا يكل، وهو لا بد يطارُدُ بلا هوادة جيش الغزاة وأعداء تلك الأرض..  
- ما نحن فاعلون، وكيف نتمكن من هزيمة شبح؟  
وإن هي إلا مدةٌ قصيرة حتى مات قائد الجيش وجنّ كبار القادة..

وحتى بعد عودتهم إلى بلادهم الغربية طاردت اللعنةُ الأعداءَ ولو بعد حين، فمات للبعض ثلاثة أبناء واحترق بيت آخريين بينما سقط البعض عن الجواد مشلولاً..

وقد دعا شعبُ الغزاة المجرمين ذلك الطيف بالشبح السوري وباتت قصة اللعنة السورية خالدةً في وجدانهم على مدى العصور وحتى اليوم..

صاح الشبح السوري في أعداء أرضنا المقدسة:

- فلتموتوا شر ميتةٍ أيها الغزاة.. لتغرقوا في الحمم وتنسحقوا وتضمحل أطرافكم..

- نعم جميعكم بلا استثناء.. لتبدد الآلهة جيوشكم وتحطم نفوسكم وأجسادكم.. وينقطع إلى الأبد نسلكم وتمحي ذريتك..

على سرير الموت سمع المحتضرون ممن قتلوا وعذبوا شعبنا وتأمروا عليه صوتاً أجش زاعقاً في الظلام:

- ها هو ذا الانتقام يأتيك!.. سوف يخترق المرض نخاعك ويأكلك الدود جراء عدوانك.

وقد انتشر نبأ اللعنةِ السوريةِ المرعبة في أرجاء العالم انتشار النار في الهشيم.. هذه اللعنة التي لا تخيب ولا تخطئ مرة ضالتها وهي تستمر حتى يومنا هذا، مع أن البعض يتناساها من آنٍ لآخر..

- لقد تكالبتم علينا كقطيع الذئب الجائعة، ومن كل حذبٍ وصوبٍ أتيتم لتدنسوا هذه الأرض وتقطعوا بسكاكينكم جسدها، ولكن رأتم عيون الأرباب التي لا تغمض ولا تنسى..

محالٌ أن يقدر شبحٌ واحدٌ على طرد جيش الغزاة ولكننا نغدو جميعاً  
أشباحاً، واللعنة ليست سلاحنا الوحيد..

على هذه الأرض لا يعتدي مخلوقٌ ويعيش طويلاً ليكسب من الإثم  
أو ليرى ثانيةً خيراً.. هكذا قدرت السماء.

بصولجانه سيضربكم إيل من عليائه، وفي أحلامكم تزوركم عيناه  
الكحيلتان..

ستخدش أمانا الأولى وجوهكم كلبوةٍ تدافع عن أبنائها، وبصاعقته  
يضربكم السيد بعل مزجراً في آذانكم بصوتٍ كالرعد.

وأما العذراء المحاربة فتبث الذعر في صدوركم وكحبات الرمل  
تذروا جيوشكم.

وأما (رشف) ذو الرمح فبالمرض والطاعون يبتليكم..

اذكروا أيها الشياطين المعتدون على أمانا سورية أن لعنة هذه الأرض  
الأبدية ستبقى عالقةً فوق رؤوسكم كالغيمة.. إن خطاياكم تطاردكم اليوم  
كالطير.. ملعونون أنتم، ومطرودون من الرحمة.. ملعونون منبوذون  
وبالفناء محكومون.

انتهت ٢٠١٩/٩





# فهرس

الصفحة

٧	..... السفرُ الأول: الأب
٩	١ - إلهنا في السماوات .....
١٠	٢ - البداية .....
١٣	٣ - النسل المقدس .....
١٦	٤ - الخلق .....
١٩	٥ - الإله المريض .....
٢١	٦ - بعل .....
٢٤	٧ - وليمة الأرباب .....
٢٦	٨ - رياح الخريف .....
٢٩	٩ - العصيان .....
٣٢	١٠ - يم / يهوه .....
٣٥	..... السفرُ الثاني: الابن
٣٧	١ - البر والبحر .....
٤٠	٢ - نهاية الفوضى .....
٤٢	٣ - مملكة السماء .....

- ٤ - اللقاء المقدس ..... ٤٥
- ٥ - قصرُ بين الغيوم ..... ٤٨
- ٦ - الشتاء ..... ٥١
- ٧ - سيد الحياة ..... ٥٥
- ٨ - الحياة والموت ..... ٥٨
- ٩ - مصير الأشياء ..... ٦٠
- ١٠ - الرحلة الأخيرة ..... ٦٣

### السيفُ الثالث: القيامة ..... ٦٥

- ١ - الإله الشهيد ..... ٦٧
- ٢ - الصيف الطويل .. ..... ٧٠
- ٣ - عَشْتَرٌ وبدرا ..... ٧٣
- ٤ - عَشْتَرٌ على العرش ..... ٧٥
- ٥ - دموع العذراء ..... ٧٨
- ٦ - الآلام ..... ٨١
- ٧ - القيامة ..... ٨٤
- ٨ - الصراع الأزلي ..... ٨٦
- ٩ - الخير والشر ..... ٨٨

٩١ .....	<b>السيفُ الرابع: الأرباب</b>
٩٣ .....	١ - عنات ربة الحرب
٩٥ .....	٢ - عنات ربة الحب والدموع
٩٨ .....	٣ - ياربخ ونيكال أعراس القمر والبساتين قصة الحب الأزلي..
١٠١ .....	٤ - (كوثرات) وأغنية الزفاف..
١٠٣ .....	٥ - محنة الكوثرات..
١٠٧ .....	٦ - الرب دَجْن
١١١ .....	٧ - عشيرات سيده البحار
١١٤ .....	٨ - الأساك المقدسة..
١١٦ .....	٩ - الشجرة المقدسة
١١٩ .....	١٠ - شاهار وشاليم الفجر والغسق (الإلهان الرقيقان)
١٢٢ .....	١١ - شمش شعلة السماوات الساطعة..
١٢٥ .....	١٢ - الأخوان الماهران كوثر وكينار
١٢٩ .....	<b>السيفُ الخامس: الملوك والربيون (الصالحون)</b>
١٣١ .....	١ - الربيون / الرفائيون آلهة عالم الموتى
١٣٤ .....	٢ - دانييل الملك الصالح
١٣٧ .....	٣ - دانييل وداناتي
١٣٩ .....	٤ - دانييل وكوثر

- ١٤١ ..... ٥- أقهات (١)
- ١٤٣ ..... ٦- أقهات (٢)
- ١٤٦ ..... ٧- عنات وأقهات (١)
- ١٤٨ ..... ٨- عنات وأقهات (٢)
- ١٥٠ ..... ٩- دانييل وبُغات (١)
- ١٥٣ ..... ١٠- دانييل (٣)
- ١٥٦ ..... ١١- دانييل وبُغات (٢)
- ١٥٩ ..... ١٢- بُغات
- ١٦٢ ..... ١٣- حلم حمورابي

### السفرُ السادس: سفرُ الأساطير الأول الملك الصالح

- ١٦٧ ..... قرت الإله حورون ابنة الشمس
- ١٦٩ ..... ١- أسطورة قرت لعنة الإله رشف
- ١٧٢ ..... ٢- أسطورة قرت الصالحة حوراي
- ١٧٦ ..... ٣- حكاية قرت المعصية
- ١٧٨ ..... ٤- حكاية قرت مريضاً
- ١٨١ ..... ٥- حكاية قرت نصف الإله
- ١٨٣ ..... ٦- حكاية قرت إيلحو وتتمانات
- ١٨٥ ..... ٧- حكاية قرت ابتهالات المرض والشفاء
- ١٨٨ ..... ٨- حكاية قرت (شَتَقَات) شيطانة الصحة

- ٩ - حكاية قِرت الغاصب (ياصِب) ..... ١٩١
- ١٠ - الإله حورون (١) ..... ١٩٤
- ١١ - الإله حورون (٢) والفرس ابنة الشمس ..... ١٩٦
- ١٢ - الإله حورون (٣) والفرس ابنة الشمس ..... ١٩٩
- السفر السابع: سفر الأساطير الثاني** ..... ٢٠١
- ١ - عروبة (أوروبا) وقدموس ..... ٢٠٣
- ٢ - يونس ملك العبيد ..... ٢٠٨
- ٣ - كومبابوس وستراتونيس (١) ..... ٢١٢
- ٤ - كومبابوس وستراتونيس (٢) ..... ٢١٥
- ٥ - كومبابوس وستراتونيس (٣) ..... ٢١٧
- ٦ - الأميرات السوريات القاتلات (١) ..... ٢٢٠
- ٧ - الأميرات السوريات القاتلات (٢) ..... ٢٢٣
- ٨ - الأميرات السوريات القاتلات (٣) ..... ٢٢٥
- ٩ - الشيخ السوري ..... ٢٢٨
- فهرس ..... ٢٣٣



## د. إياد ناجي

### صدر للروائي:

- الفئران، رواية، عام ١٩٩٤، عن دار الشراع.
- العزلة، رواية، عام ١٩٩٧، عن دار الثقافة.
- المرحومة، رواية، عام ٢٠٠٠، عن دار الشراع.
- فضيحة مدوية في القصر الملكي، رواية، عام ٢٠٠٥، عن دار كنعان.
- دمشق الأخرى، رواية، عام ٢٠٠٦، عن دار طلاس.
- الغرفة رقم ١٠٠٠، رواية، عام ٢٠٠٧، عن دار طلاس.
- مأساة ريفية، ثلاث روايات قصيرة، عام ٢٠٠٨، عن دار طلاس.
- سلالة الشمس، رواية، عام ٢٠٠٩، عن اتحاد الكتاب العرب.
- التفاح الأزرق، رواية، عام ٢٠١٠، عن دار كنعان.
- قطتان في صندوق، أربع روايات قصيرة، عام ٢٠١٥، عن دار الفكر.
- أنفاس الشيطان، رواية، عن دار كنعان.
- الرواية الناقصة، رواية، عن اتحاد الكتاب العرب.
- زمن القديسين، رواية، عن الهيئة العامة السورية للكتاب.

۲۰۲۲